تاريخ
الصابئة المندائيين

محمد عمر حمادة

دار قتيبة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ
١٩٩٢ م

دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - ص.ب: ٦/٣٣٩٦ دمشق - ص.ب: ١٣٤١٤

الإهداء

إلى الانسان الذي يؤمن بحقه وبحق
غيره بالتفكير والاعتقاد

أقدم هذا العمل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بين يدي الباحث

تاريخ الإنسانية سلسلة متصلة من الحلقات الفكرية التي أثرت في الأمم التي ظهرت فيها والتي امتد تأثيرها ليعم العالم كله أو ليحدد مياسم خاصة لمجموعة بشرية لها اساطيرها وقصصها المرتبطة بعادات وتقاليد وشعائر يتم التعبير عنها بلغة خاصة تم تطويرها في بيئة منعزلة ذاتية كتلك التي عاش فيها الصابئون المندائيون حول ضفتي الرافدين وبخاصة في المناطق السفلى من النهرين فيما يسمونه بالبطائح منهما حيث يصب النهران العظيمان مياههما في الأهوار وحيث يلتقيان في مدينة القرنة قبل أن يفرغا مياههما في الخليج العربي، وفي بطائح عربستان حول نهر كارون الذي يصب هو أيضاً مياهه في الخليج ذاته، وفي تلك الأصقاع عاش ولا يزال يعيش بقايا مجموعة بشرية يطلق عليها اسم الصابئين أو الصابئة أو الصّبّة، وتطلق هي على نفسها اسم (المنداي) والمندائيين.

وتعني كلمة منداي باللغة الآرامية (العارف)، وكان هؤلاء

الصابئون المندائيون يقطنون تلك الأصقاع حيث فتحت الجيوش الإسلامية بلاد الساسانيين مما يؤكد اتصال بقاياهم بأولئك الذين كانوا موجودين في تلك البطائح بين واسط والبصرة.

ويظهر من أقوال للمسعودي وابن القفطي انه لا توجد علاقة بين صابئة واسط والبصرة، وبين صابئة حران رغم اشتراكهما بالاسم، وهذا يستدعي البحث في منشأ الصابئة المنتشرين على السواحل الايرانية وفي جنوب العراق.

وقد ذكرت الليدي (دراوور) المستشرقة الانكليزية في كتابها المندائية ومعناها الارتماس والاغتسال بالماء الجاري، وقد مال إلى ذلك الرأي كل من العلامة انسطاس الكرملي والبروفسور (اوليري) وسواهم من الباحثين في الصابئة المندائية إلى أنها إحدى فروع اللغة الآرامية، وإلى أنها ترتبط بزمان متوسط بين اللغات القديمة المهجورة واللغة السريانية الحديثة كما ان عقائدهم لا تخلو من بقايا الوثنية القديمة وتعظيم الكواكب على صورة من الصور، ومن هذه الصورة دراستهم لعلم الفلك وممارسة التنجيم، وفي هذا الشأن ذكر العلامة عبد الرحمن بن خلدون المتوفي سنة ٨٠٨/ هـ ـ ١٤٠٥/ م، إلى ان الصابئة هم القائلون «بالهياكل والأرباب السماوية والأصنام الأرضية وإنكار النبوات وهم أصناف وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة».

والصابئة المندائيون وإن ادخلت على معتقداتهم بعض

التعاليم الحديثة فإنّهم ولا شك قد اعتمدوا على بعض الآراء والأفكار الفلسفية التي تعود لبدايات التفكير البشري، وقد يتعرف الباحث من اللغة التي يتكلمونها ومن إسبالهم شعور رؤوسهم ولحاهم على انهم شعب غريب نزح إلى بلاد الرافدين واستوطنها واحتفظ بما له من عادات وتقاليد والتزم بالسكن على ضفاف الأنهار، وبقرب المياه الجارية.

وقد كثرت الدارسات عن الصابئة المندائية من قبل الباحثين الأجانب ومن هؤلاء الليدي (دراوور) التي ترجمت من كتبهم المخطوطة ما يمكن ان يساعد على تتبع تاريخ هذه المجموعة البشرية الممتدة من اعماق التاريخ حتى يومنا هذا.

ومن الكتب المترجمة كتاب (حران كويثا) أو (حران السفلى) و(ترسر ألف شيالة) أو (اثنا عشر ألف سؤال) و(القلستا) أي كتاب عقد الزواج و(اقماهي وزرسته) أي كتب الاحراز.

وقد ترجم البرفسور ليدس باريسكي كتاب (كنزه ربه) أي الكنز العظيم إلى اللغة الألمانية. وهيئة الأرض عند الصابئة مدورة ثابتة غير متحركة مع أنها ترتبط بحركة خاصة وهي مقامة على هوائيين، هواء داخلي وهواء خارجي وتحت الأرض ماء انبسطت عليه وقد تم بعد ذلك غرس فروع الأشجار وفتح طريق للهواء وكذلك لماء الحياة الذي تقوم عليه حياة الأجسام النامية.

ويعد كتاب (كنزه ربه) من كتب الصابئة الهامة وفيه إنه بقي

من عمر هذه الدنيا حوالي مائة واثني عشر ألف وثمانمائة سنة، ومع هذا فقد اقبل الصابئون حديثاً على المدارس ومعاهد العلم وبهذا امتزجوا مع المجتمع حولهم بنسبة مقبولة ولم يعودوا يُمَيزون عمن حولهم بصورة واضحة وذلك بعد ما كانوا في عزلة فرضوها على أنفسهم وساهمت في فرض هذه العزلة عليهم حوادث الأيام.

ومن صناعات الصابئة الصياغة والمينا، وقد نبغ بعض شبابهم حديثاً في كثير من الدراسات العلمية والطبية والهندسية والتربوية والتجارية.

ومع ان نفوس الصابئة المندائيين كانت تعد في القرن السابع عشر حسب روايات بعض المؤرخين ما يقارب المائة ألف نسمة فإن تعدادهم لا يزيد اليوم عن عشرين ألف نسمة.

وقد دفعني لكتابة هذه الدراسة عن الصابئة المندائية وهم في أكثريتهم من سكان الوطن العربي، قلة الدراسات المكتوبة عنهم باللغة العربية مع انهم جزء من ثقافتنا وحياتنا العربية المعاصرة، في الوقت الذي توجد فيه العديد من الدراسات المكتوبة باللغات الاجنبية عنهم والتي ذهبت مذاهب شتى في نشأتهم وتطور اعتقادهم ومحاولة ربط صلتها بالماضي البابلي والأكادي والنبطي بل وبالعقائد اليهودية في الوقت الذي يكنون فيه كراهية وعداء للنصوص اليهودية العنصرية المتعالية على جميع الأقوام والعقائد، وقد عملت ما وسعني على تصحيح بعض ما نشر

عن الصابئين المندائيين، نقلا عن الكتب التاريخية القديمة دونما تمحيص أو تدقيق، أو تعمق مما أدى إلى انتشار معلومات وأفكار تتطلب مَزيد الاطلاع والدراسة والتحقيق عن صابئة البطائح المندائيين وما يتعلق بأحوالهم وتاريخهم.

محمد عمر حمادة

تمهيـــد

للمعتقدات الدور الحاسم في صنع التاريخ الإنساني على مر العصور؛ فعليها نشأت وتطورت أمم كثيرة، وبسببها انهارت أمم أخرى واندثرت. فالأمة تتطور وتتقدم بقدر ما لعقيدتها من قوة وفعالية في تحريكها للعمل الجاد الصحيح؛ لبناء صرح الحضارة الإنسانية. إلا أنّ ذلك لا يعني أن بعض العقائد المتوهمة لم تستطع أن تبني لها دولاً ومراكز وجود، لكنها سرعان ما ذوت واضمحلت.

وبداية العقائد، وارتباط الإنسان بها، كان مع انبثاق الحياة، ففكّر الإنسان بوجوده، وبخالقه، وبمظاهر الطبيعة من حوله، وبما تقدمه من الخيرات، أو ما تجلبه عليه من الويلات.

ومع تقدم الحياة، وانتشار الإنسان على الأرض، ازدادت العقائد وتعددت، إلا أنّ فكرة الخالق كانت مشتركة بين جميع الشعوب، وإن اختلفت النظرة للخالق من شعب إلى آخر؛ فهناك من آمن بالطبيعة ومظاهرها، أو بالحيوان والنبات، أو بالكواكب

والنجوم، وهناك من آمن بالأبطال والملوك، وبإله الخير أو إله الشر، أو بآلهة متعددة، وهناك من آمن بإله واحد، لا شريك له.

ومما اشتركت العقائد في الإيمان به الحياة الأخرى، وإن اختلفت طريقة هذا الإيمان من عقيدة إلى أخرى، وبطبيعة الحال، فإنه لا بد لكل عقيدة من مبشر أو داعٍ أو نبي أو فيلسوف، أو رسول من الله.

فما موقع العقيدة الصابئية المندائية بين هذه العقائد، وأين يقف منها.

البحث في العقيدة الصابئية

بدأت عناية الباحثين المسلمين بالديانة الصابئية منذ ورد ذكرها في القرآن الكريم بوصفها ديانة كتابية كاليهودية والمسيحية، ولكنهم اختلفوا في أمرها، فمنهم من جعلها ديانة وثنية يقوم أتباعها بعبادة الكواكب والنجوم والملائكة، ومنهم من ردها إلى ديانة بابل وآشور، ومنهم من قال انهم من المجوس، ومنهم من عدّها ديانة سماوية يُعامل أبناؤها معاملة الكتابيين، ولهذا أُخذت منهم الجزية، وقال بعض الباحثين: إنهم لا يعتقدون بدين أو شريعة، وقال فريق آخر انهم طائفة من المشركين لا كتاب لهم.

الصابئة في رأي الباحثين القدامى:

يحدثنا الشهرستاني عن رأيه بالصابئة، فيقرر أنهم يؤمنون بصانع حكيم مقدس: ومذهب هؤلاء: أن للعالم صانعاً، فاطراً، حكيماً، مقدساً عن سمات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز

عن الوصول إلى جلالته، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرا، وفعلا، وحالة)[1].

ويعبر الرازي عن رأيه فيقول: إنهم من عبدة الكواكب. وهو بهذا يجانب الصواب، ذلك أنه سيتبين لنا أن الصابئة مؤمنون موحدون، أصحاب عقيدة كتابية، جاء بها النبي يحيى، وأنهم غير قوم إبراهيم، كما ظن الرازي.

الصابئة قوم يقولون: إن مدبر هذا الكون وخالقه، هذه الكواكب السبعة والنجوم، فهم عبدة الكواكب، ولما بعث الله إبراهيم عليه السلام في حدوث الكواكب كما حكى الله تعالى عنه في قوله: ﴿لا أحب الآفلين﴾[2].

واعلم أن عبادة الأصنام أحدث من هذا الدين؛ لأنهم كانوا يعبدون النجوم عند ظهورها، ولما أرادوا أن يعبدوها عند غروبها، لم يكن لهم بد من أن يصوروا الكواكب صوراً ومثلا، فصنعوا أصناماً واشتغلوا بعبادتها، فظهر من هنا عبادة الكواكب[3].

وقال الشيخ شمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الربوة: وقيل: إن الصابئة قسمان: أحدهما: القائلون بالهياكل، وهم عبدة الكواكب والآخرون القائلون بالأشخاص، وهم عبدة

(١) موسوعة الملل والنحل ١٢٦.
(٢) سورة الأنعام الآية ٧٦.
(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ١٢٥ ـ ١٢٦.

الأصنام، فأمّا القائلون بالهياكل، فإنهم يزعمون أنهم أخذوا ذلك عن عاد يمون، وهو شيث النبي (ع). وعاديمون أخذه عن أخنوخ، وهو هرمس الهرامسة. هذا زعمهم الباطل. وأما الآخرون فيزعمون أن الأصنام صور روحانيات الكواكب لدورانها، وهم القائلون بالأكوار والأدوار، وهؤلاء زعموا أن المعبود واحد وكثير. أما الواحد والوحدانية، ففي الذات والأزل، وأما الكثرة؛ فلأنه يكثر بالأشخاص في رأي العين[4].

ويتحدث ابن الجوزي عن عقيدة الصابئين، فيؤكد اختلاف العلماء في معرفة عقيدتهم بسبب سريتها، إلا أنه يذكر اعتقادهم بوجود خالق لا مثيل له.

(مذهب الصابئين مختلف فيه، فمنهم من يقول: إن هناك هيولي كان، ولم يزل، يصنع العالم من ذلك الهيولى، وقال أكثرهم: العالم ليس بمحدث وسموا الكواكب ملائكة، وسماها قوم منهم آلهة، وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات، وهم يدَّعون أن بيت الله الحرام واحد منها، وهو بيت زحل. وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله عزَّ وجلَّ إلا بالنفي دون الإثبات، ويقال: ليس بمحدث، ولا موات، ولا جاهل، ولا عاجز. قالوا: لئلا يقع التشبيه. ولهم تعبدات في شرائع منها أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات كل يوم، وعليهم صيام شهر، وحرموا لحم الجزور... وزعموا أن الأرواح الخيرة تصعد إلى الكواكب الثابتة، وإلى

(٤) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر: ٤٤.

الضياء، وأن الشريرة تنزل إلى أسفل الأرضين وإلى الظلمة، وبعضهم يقول: هذا العالم لا يفنى، وأن الثواب والعقاب في التناسخ .... واشتغلوا بالتنجيم والتسخير، وقالوا: لا بد من متوسط بين الله وبين خلقه في تعريف المعارف والإرشاد للمصالح، إلا أن ذلك المتوسط ينبغي أن يكون روحانياً لا جسمانيا، قالوا: فنحن نحصل لأنفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه، فيكون ذلك وسيلة لنا إليه، وهؤلاء ينكرون بعث الأجساد)[٥].

وقال ابن النديم: (هؤلاء القوم كثيرون بنواحي البطائح، هم صابئة البطائح يقولون بالاغتسال، ويغسلون جميع ما يأكلون، ورئيسهم يعرف بالحسيح، وهو الذي شرع الملة ويزعم أن الكونيين ذكر وأنثى، وأن البقول من شرع الذكر، وأن الأكشوش من شرع الأنثى، وأن الأشجار عروقه. ولهم أقاويل شنيعة تجري مجرى الخرافة. وكان تلميذه، ويقال له شمعون، وكانوا يوافقون المانوية في الأصلين .... وفيهم من يعظم النجوم إلى وقتنا هذا)[٦].

ويأتي ابن كثير على ذكرهم في تفسيره، فينقل آراء العلماء، ويؤكد أن أبا حنيفة أحلّ أكل ذبائحهم، بوصفهم أهل كتاب.

(اختلف فيهم، فقال فيهم سفيان الثوري، عن ليث بن

(٥) تلبيس إبليس: ٨٤.
(٦) الفهرست: ٣٤.

أبي سليم، عن مجاهد، قال: «الصابئيون قوم بين المجوس واليهود والنصارى، ليس لهم دين». وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه، وروى عن عطاء وسعيد بن جبير نحو ذلك، وقال أبو العالية، والربيع بن أنس، والسُّدي، وأبو الشعثاء جابر بن زيد، والضحاك، واسحاق بن راهويه: «الصابئون فرقة من أهل الكتاب، يقرأون الزبور، ولهذا قال أبو حنيفة وإسحاق: «لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم». وقال هشيم عن مطرف: «كنا عند الحكم بن عتبة، فحدثه رجل من أهل البصرة، عن الحسن أنه كان يقول في الصابئين: «إنهم كالمجوس، فقال الحكم: ألم أخبركم بذلك»، وقال عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن عبد الكريم: «سمعت الحسن ذكر الصابئين فقال: هم قوم يعبدون الملائكة». وقال ابن جرير: «سمعت الحسن ذكر الصابئين فقال: هم قوم يعبدون الملائكة». وقال ابن جرير: «حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الحسن، قال: «أخبر زياد أن الصابئين يصلون إلى القبلة، ويصلون الخمس، قال: فأراد أن يضع عنهم الجزية، قال: فخبر بعد أنهم يعبدون الملائكة». وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبر ابن وهب، اخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه قال: «الصابئون قوم مما يلي العراق، وهم بكوثى، وهم يؤمنون بالنبيين كلهم، ويصومون من كل سنة ثلاثين يوماً، ويصلون إلى اليمن، كل يوم خمس صلوات». وسئل وهب بن منبه عن الصابئي فقال: «الذي يعرف الله

وحده، وليست له شريعة يعمل بها، ولم يحدث كفراً». وقال عبد الله بن وهب: قال عبد الرحمن بن زيد: «الصابئون أهل دين من الأديان، كانوا بجزيرة الموصل، يقولون لا إله إلا الله، وليس لهم عمل، ولا كتاب، ولا نبيّ، إلا قول لا اله إلا الله»، قال: «ولم يؤمنوا برسول، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي (ص) وأصحابه: «هؤلاء الصابئون، يشبهونهم بهم، يعني في قول لا إله إلا الله». وقال الخليل: «هم قوم يشبه دينهم دين النصارى، إلا أن قبلتهم نحو مهبّ الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام». وحكى القرطبي عن مجاهد، والحسن، وابن أبي نجيح: أنهم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس، ولا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم». قال القرطبي: «والذي تحصل من مذهبهم، فيما ذكره بعض العلماء، أنهم موحّدون، ويعتقدون تأثير النجوم، وأنها فاعلة، ولهذا أفتى أبو سعيد الإصطخري بكفرهم للقادر بالله، حين سأله عنهم. واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب، بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء، أو بمعنى أن الله فوّض تدبير أمر هذا العالم إليها، وقال: «وهذا القول هو المنسوب إلى الكشرانيين، الذين جاءهم إبراهيم عليه السلام، رادّاً عليهم، ومبطلاً لقولهم.

وأظهر الأقوال، والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه، ووهب بن منبه أنهم قوم ليسوا على دين اليهود، ولا النصارى، ولا المجوس، ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون

على فطرتهم، ولا دين لهم يتبعونه ويقتفونه. ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابىء، أي إنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض، إذ ذاك، فقال بعض العلماء: «الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي، والله أعلم»[٧].

الصابئة في رأي الباحثين المعاصرين:

وأدلى الباحثون المعاصرون بدلوهم في هذا المجال، فعباس محمود العقاد يرى أهمية دراسة عقيدة هذه الفرقة: «والمحقق من أمرهم أنهم يرجعون إلى أصل قديم؛ لأن استقلالهم باللغة الدينية، والكتابة الأبجدية، لم ينشأ في عصر حديث... ومع استقلال الصابئة باللغة الدينية، والكتابة الأبجدية، يشتركون مع أصحاب الأديان في شعائر كثيرة، ولا يعرف دين من الأديان تخلو عقيدة الصابئة من مشابهة له في إحدى الشعائر... فهم يشبهون البراهمة، والمجوس، والاورفيين أصحاب النحل السرية. كما يشبهون اليهود والنصارى والمسلمين، أو كما يشبهون الفلاسفة، وأصحاب المذاهب العقلية، في تفسير الوجود والموجودات، وهم كما يشبهون الجميع، يخالفون الجميع .... وهم ينكرون الأنبياء، ويقولون: إنّ الله لا يخاطب أحداً من البشر، وإنما خلق الله الروحانيات؛ أي الملائكة، ثم تلبست

(٧) تفسير ابن كثير: ١/ ١٠٤. تفسير القرطبي: ١/ ٣٧٠.

هذه الرو حانيات بالكواكب النورانية، لمَّا احتاج الأمر إلى أمثلة لهذه الكواكب، يراها العباد حين يشاؤون، صنعوا لها صوراً من الأوثان، وجعلوا اتجاههم إلى نجم القطب، لأنه ثابت في مكانه . . . والمشهود عن الصابئة أنهم يوقرون الكعبة في مكة، ويعتقدون أنها من بناء هرمس، أو إدريس عليه السلام، ولكن الدراسات الحديثة بينت للباحثين شأن هذه الملة، وثبت لهم أنها تؤمن بالله واليوم الآخر، وتؤمن بالحساب والعقاب، وأن الأبرار يذهبون بعد الموت إلى «آلمى دنهورو» وأن المذنبين يذهبون بعد الموت إلى عالم الظلام «ألمى دهشوخا»[٨].

ويقول عبد العزيز الثعالبي في الصابئة: «هي ديانة «عاذيموس» الأول، كانت في القديم من أعظم الأديان انتشاراً في العالم، وكان منشؤها في العراق، وكعبتها حران[٩]، وهي في الأصل دين الكواكب السبعة، والبروج الاثني عشر. أثبت التاريخ أن العرب كانوا يدينون بالصابئة منذ القرون الأولى، وقد اتخذوا لها الهياكل وسمُّوها البيوت، وجعلوها معابد يقدسونها، ويدينون بها. ويدل على ذلك

(٨) إبراهيم أبو الانبياء: ١٠٨.

(٩) كانت مدينة عظيمة، وهي قاعدة ديار مضر، بينها وبين الرها مسيرة يوم للراكب، وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل وحلب، فتحت صلحاً في عهد عمر بن الخطاب.

أنهم كانوا يسمُّون أنفسهم عبيداً لها، كقولهم: عبد شمس، وعبد المشتري ونحو ذلك»[١٠].

ويعتقد سيد قطب بأنهم من مشركي العرب، الذين توصلوا بعد بحث إلى عقيدة جديدة، يرتضونها إلى الإيمان بإله واحد. (الصابئون، الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة، الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها، فاهتدوا إلى التوحيد، وقالوا: إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى، ملة إبراهيم، واعتزلوا عباد؛ قومهم، دون أن تكون لهم دعوة فيهم، فقال عنهم المشركون: إنهم صبأوا؛ أي مالوا عن دين آبائهم، كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك، ومن ثم سُمّوا الصابئة، وهذا القول أرجح من القول إنهم عبدة النجوم، كما جاء في بعض التفاسير)[١١].

ويُعبِّر مصطفى جواد عن رأيه فيقول: «ويظهر لي أن أكثر صابئة العرب كانوا باليمن»، قال الهمداني في كلامه على رئام: «أما رئام، فكان متنسكا، يُتنسك عنده، ويحج إليه، وهو في رأس جبل أعلى من بلد همدان، ينسب إلى رئام بن نهفان . . . . ثم قصر مملكته، وقدام باب القصر، حائط فيه بلاطه، فيها صورة الشمس والهلال، فإذا خرج

(١٠) محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان: ٢٢ ـ ٢٥.

(١١) في ظلال القرآن ١/ ٩٣ ـ ٩٤.

الملك لم يقع بصره على أول منها[١٢]، فإذا رآها، كفر لها بأن يضع راحته تحت ذقنه، عن وجه يستره، ثم يخر بذقنه عليها» ثم قال في الكلام على «مَدْر»: «وفي مسجد مَدْر أساطين مما نزع من تلك القصور، وليس في المسجد الحرام مثلها، وهي أكثف منها، وأحسن نَجرا كأنها مفرغة في قالب، وقبالة قصر الملك منها بلاطة فيها، مستقبلة للمشرق، وصورة الشمس والقمر تقابلانه، إذا خرج الملك»[١٣]. فهذا السجود من أركان عبادة الصابئة، وقال الهمداني: «وهو في معنى قول إله ـ عز وجل ـ في بعض التفسير: «ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً»[١٤] قلت: كان الهمداني حريا أن يستشهد في هذا الموضع بقوله تعالى: ﴿**وجئتك من سبأ بنبأ يقين، إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون**﴾[١٥] وقد أثبت القرآن الكريم أن قوم بلقيس كانوا يسجدون للشمس، فهم صابئة العرب[١٦].

ويقدم لنا عبد الرزاق الحسني رأيه في الصابئة قائلاً:

(١٢) يعني شيئاً قبلها، استعمل اسم التفضيل على حقيقته.
(١٣) نقلا عن الإكليل صفحة: ١١٥ ـ ١١٦.
(١٤) المرجع السابق صفحة: ٨٣.
(١٥) سورة النمل، الآيات: ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤.
(١٦) مجلة العربي، العدد ١١٦: ص ١٠٨.

«يعتقد الصابئون (المندائيون) أن الخالق جل شأنه واحد أزليّ أبدي، لا أول لوجوده، ولا نهاية له، منزه عن عالم المادة والطبيعة، لا تناله الحواس، ولا يفضي إليه مخلوق، وأنه لم يلد ولم يولد، وهو علة وجود الأشياء ومكونها». ولا يختلف اعتقادهم في الخالق عن اعتقاد المؤمنين به، ويلي الإله في المنزلة (٣٦٠) شخصاً خلقوا ليفعلوا أفعال الإله، إلا أنهم ليسوا بآلهة، ولا هم في عداد القديسين، لأنهم لم يكونوا بشراً مثلهم»[١٧].

الصابئة عند الباحثين الغربيين:

بدأت مع بداية النهضة الأوروبية، وضعف الدولة العثمانية، طلائع، المستشرقين تجوب بلادنا العربية الإسلامية، وتخصّص كل فريق منهم بجانب من جوانب حياتنا، فكان منهم من اختص بالجانب العقائدي، ونشرت كتابات كثيرة عن عقائد مواطنينا، وكان منهم طائفة الصابئين، فمن الكتب التي نشرت في هذا المجال:

١ ـ سيكلبرج. المصبة.
٢ ـ أوليري، كيف انتقل العلم الإغريقي إلى العرب.
٣ ـ ليدزبارسكي، ترجم كتاب الكنز العظيم (الكنز ربه).
٤ ـ براندت، الدين المندائي.

(١٧) مجلة العربي، العدد ١١٢: ص ٨١.

٥ ـ نولدكه، قواعد اللغة المندائية.
٦ ـ جي. ودنكرين، المندائيون ١٩٤٦.
٧ ـ ماتسوخ، اللغة المندائية القديمة والحديثة، وقاموس في الإنكليزية إلى المندائية، بالاشتراك مع الليدي دراور.
٨ ـ رودولف كورت، المندائيون. ومن أفضل الكتب في هذا المجال.
٩ ـ كتاب الليدي دراور «المندائيون في العراق وإيران» في قسمين:

القسم الأول: يعالج تاريخ الصابئين، وتسميتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وشعائرهم الدينية، ولغتهم بالتفصيل.

القسم الثاني: خاص ببعض الأساطير والقصص الدينية المندائية.

وتكمن أهمية الكتاب في كون الليدي دراور قامت بالاتصال المباشر بالصابئين في العراق وإيران «واستمرت هذه الصلة أربعة عشر عاماً، أمضتها في دراسة ومشاهدة، حتى ممارسة في بعض الأحيان، لبعض المراسم، لإتقانها وتسجيلها تسجيلاً دقيقاً.

وتعدّ المؤلفة في الوقت الحاضر المرجع الأجنبي الرئيس في دين الصابئين وفي لغتهم»[١٨].

(١٨) الصابئة المندائيون ـ المقدمة: ص ٦.

تقول الليدي دراور: «وفي الحقيقة فإن الصابئين لا يعبدون الأجرام السماوية، غير أنهم يعتقدون بأن النجوم والكواكب تحتوي على مخلوقات حية، هي أرواح ثانوية، تابعة لأمر ملك النور «ملكادنهورا» وأنها تتحكم بمصائر البشر. ويصاحب هذه الأرواح الخيرة أضدادها من الأرواح الشريرة . . . إن لب جوهر الدين الصابئي، خلال جميع التقلبات والتغيرات، هو عبادة قوانين الحياة والخصب القديمة، فالحياة العظمى لديهم تجسيد لقوة كونية خلاقة نافعة، ورمز الحياة العظمى هو (الماء الحي) . . . والاعتقاد بخلود الروح، وبصلتها الوثقى بأرواح أسلافها، صلة إلهية مباشرة»[١٩].

ويقول البرفسور أوليري: «إن الصابئين الحقيقيين كانوا في الجنوب العربي لا علاقة لحران بهم. إن المندائيين في جنوب العراق أصل معمدي الآباء المسيحيين الأوائل، والكتّاب الربانيين، الذين حصلوا على اسم (المتعمدين) من تَطَهرهم المستمر، كانوا يسمون بالآرامية (بالصابئين)، من أصل الفعل (صبا الآرامي)، بمعنى يغطس ويتعمد)[٢٠].

وعلى الرغم من كثرة الكتابات والتكهنات حول هذه الديانة، إلاّ أن أمرها ما زال سراً. ويعود ذلك لسرية العقيدة،

(١٩) المرجع السابق ص: ٢٧ ـ ٣٠ ـ ٣١.
(٢٠) البرفسور أوليري Greek science, Haw it Passed to the Arabs.

وعدم البوح بها، حتى لأبنائها؛ فالصابئي لا يعرف من أسرار ديانته إلا القليل، وهو لا يتقن لغة العقيدة[٢١]. والديانة الصابئية المندائية مغلقة لا تقبل أحدا في صفوفها، ولا تسمح لأبنائها بالزواج من غير بناتها (ومن خرج عن هذه القاعدة خرج من العقيدة)، ويعيش أفرادها بالقرب من مجاري الأنهار، فلا يخالطون أحداً، إلا بقدر ضئيل، مما يزيد من سرية العقيدة. وسنحاول في بحثنا هذا أن نقدم الديانة الصابئية المندائية بتجرد الباحث المدقق.

الصابئة لغة:

قال بعض العلماء: إن لفظة الصابئة مأخوذة من كلمة (صبأ) العربية بمعنى خرج من دين آبائه، إلى دين آخر، ومن صبأ النجم؛ أي ظهر، وكان يقال للرجل إذا أسلم زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد صبأ؛ أي خرج من دين إلى دين. من ذلك ما قاله أبو إسحاق الزجاج في قوله تعالى (والصابئين): معناه «الخارجين من دين إلى دين» يقال صبأ

(٢١) يؤكد ذلك ما كتبه الأستاذ نعيم بدوي (أحد أبناء الديانة المندائية) حين قال: (إن رجال الدين الصابئي لا يعاونوننا، لأنهم لا يقرون علنية الدين، فذلك يتعارض وباطنيته، إضافة إلى أن الدين ليس تبشيريا .. يضاف إلى ذلك أن المثقفين من أبناء هذه الطائفة عموما، تنقصهم معرفة لغة الكتب الصابئية، فهي كتب مدونة باللغة المندائية). الصابئون المندائيون: ص ٤ ـ ٥.

فلان يصبأ؛ إذا خرج من دينه.

جاء في لسان العرب: وقد صبأ يصبأ صبئاً وصبوءاً: خرج من دين إلى دين آخر، كما تصبأ النجوم؛ أي تخرج من مطالعها.

وفي حديث بني جذامة: كانوا يقولون، لما أسلموا: صبأنا، صبأنا. وكانت العرب تسمي النبي (صلى الله عليه وسلم) الصابيء؛ لأنه خرج من دين قريش إلى الإسلام، ويسمّون من يدخل في دين الإسلام مصبوءاً، ويسمون المسلمين الصبأة، وقال ابن الأعرابي: «صبأ عليه؛ إذا خرج عليه، ومال عليه بالعداوة»[٢٢]. وإلى هذا المعنى ذهب أكثر الباحثين القدامى والمعاصرين.

أما الصابئة، فيعرفون أنفسهم باسم (مندائي)، فلا بد أن تكون تسميتهم بالصابئين قد جاءت من الأقوام المجاورين لهم.

وذهب المستشرف نولدكه إلى «أن كلمة صابئة مشتقة من صبّ الماء، إشارة إلى اعتمادهم بالماء».

وقالت الليدي دراور: «إنها مأخوذة من كلمة (صبا) المندائية، ومعناها الارتماس، والاغتسال بالماء الجاري»[٢٣].

(٢٢) لسان العرب: ١/ ١٠٧ ـ ١٠٨.
(٢٣) الصابئة المندائيون: ٩.

والذي أراه أن الصابئة مشتقة من الفعل صَبَبَ، صب الماء ونحوه، يصبه صبا فصبَ وانصب وتصبب: أراقه، وصببتُ الماء سكبته، ويقال صببت لفلان ماء في القدح؛ ليشربه. قال علي (كرم الله وجهه) يصف أبا بكر (رضي الله عنه) حين مات: «كُنتَ على الكافرين عذاباً صبا»؛ أي مغرقا. وماء صبّ، كقولك ماء سكب. ذلك أن الأقوام المجاورة لهم شاهدوا كثرة صبهم للماء على أجسادهم (ارتماسهم بالماء)، فسمّوهم الصابين أو الصابة، ذلك ان الشعار الرئيس لديهم هو الارتماس بالماء الجاري، وإن طهارتهم اليومية تمارس كذلك عن طريق الاغتسال في الماء، وأن هذه الممارسة تسمى (مصبته)؛ أي التعميد، والذي رجح لدينا هذا المعنى أن لغتهم مندائية آرامية، وأن فعل (صبا) الآرامي ومعناه يرتمس ويتعمد، فهم يقولون، في صيغة الأذان عندهم: «أنش صابي بمصبته»؛ أي كل من يتعمد بالمعمودية يسلم، كما يقولون في التعميد (صبينا بمصبته (أدبهرام ربه)؛ أي تعمدنا بعماد إبراهيم الكبير)[٢٤]، ولديهم الكثير من العبارات التي تذكر كلمة (المصبتة) كثيراً في طقوسهم.

(٢٤) الصابئة المندائيون: ٨.

فـــرق الصابئـــة

على الرغم من أن بحثنا هذا يتحدث، بشكل خاص، عن العقيدة الصابئية المندائية إلا أنه لا بد لنا من ذكر الطوائف التي سميت باسم الصابئة، حتى لا تختلط المسميات، ذلك أن بعض الباحثين يعتقد أن الصابئة عقيدة واحدة انقسمت إلى عدة فرق، وهذا الاعتقاد خاطيء، فالتاريخ يبين لنا فرقاً متعددة. يطلق عليها هذا الاسم، على ما بينها من اختلاف في العقيدة وفروعها.

وقد بيّن لنا العلماء والباحثون أقسام الصابئة، وعَرّفوا كل قسم، وما يعتقده، وبما يختلف عن غيره، ومن أفضل من كتب في هذا الموضوع: الفقيه الأصولي سيف الدين الآمدي[١] في مخطوطه (كتاب أبكار الأفكار)، وأبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق البغدادي، المعروف بابن النديم، والإمام أبو الفتح

(١) الإمام أبو الحسن، علي بن محمد، المكنّى بأبي علي بن سالم التغلبي الفقيه الاصولي الملقب سيف الدين الآمدي، المتوفي سنة ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م.

محمد بن عبد الكريم الشهرستاني الذي ذكر بعض[٢]، فرق الصابئة.

١ ـ أصحاب الهياكل:

إن أصحاب الروحانيات، لما عرفوا أن لا بد للإنسان من متوسط، ولا بد للمتوسط من أن يُرى فيُتَوجَّه إليه، ويُتَقَرب به، ويُستفَاد منه، فزعوا إلى الهياكل التي هي السيارات السبع، فتعرفوا أولا: بيوتها ومنازلها، وثانياً: مطالعها ومغاربها، وثالثاً: اتصالاتها على أشكال الموافقة والمخالفة مرتبة على طبائعها، ورابعاً: تقسيم الأيام والليالي والساعات عليها، فعملوا الخواتيم، وتعلموا العزائم والدعوات، وعينوا ليوم زحل مثلا يوم السبت، وراعوا فيه ساعته الأولى، وتختّموا بخاتمه المعمول على صورته وهيئته وصنعته، ولبسوا اللباس الخاص به، وتبخروا ببخوره الخاص، ودعوا بدعواته الخاصة به، وسألوا حاجتهم منه: الحاجة التي تُستدعىٰ من زحل، من أفعاله وآثاره الخاصة به، فكان يقضي حاجاتهم، ويحصل في الأكثر مرامهم، وكذلك رفع الحاجة التي تختص بالمشتري في يومه وساعته، وكذلك سائر الحاجات إلى الكواكب، وكانوا يسمونها أرباباً آلهة، والله تعالى هو رب الأرباب، وإله الآلهة. ومنهم من جعل الشمس إلهة الآلهة، وكانوا يتقربون إلى الهياكل تقربا إلى الروحانيات،

(٢) موسوعة الملل والنحل: ١٤٦.

ويتقربون إلى الروحانيات تقربا إلى الباري تعالى؛ لاعتقادهم بأن الهياكل أبدان الروحانيات، ونسبتها إلى الروحانيات، كنسبة أجسادنا إلى أرواحنا، فهم الأحياء الناطقون بحياة الروحانيات وهي تتصرف في أبدانها تدبيرا، وتصريفا، وتحريفا، كما نتصرف في أبداننا. ولا شك في أن من يتقرب إلى شخص قد تقرب إلى روحه.

٢ ـ أصحاب الأشخاص:

قال أصحاب الأشخاص: «إذا كان لا بد من متوسط يُتوَسَلُ به، وشفيع يُتشفَعُ إليه، والروحانيات، وإن كانت هي الوسائل، لكننا إذا لم نرها بالأبصار، ولم نخاطبها بالألسن، لم يتحقق التقرب إليها إلا بهياكلها. ولكن الهياكل قد تُرى في وقت، ولا تُرى في وقت، لأن لها طلوعا وأفولا، وظهوراً بالليل، وخفاءً بالنهار، فم يَصفُ لنا التقرب بها، والتوجه إليها، فلا بد من صور وأشخاص موجودة قائمة، منصوبة نصب أعيننا، نعكف عليها، ونتوسل بها إلى الهياكل، فنتقرب بها إلى الروحانيات، ونتقرب بالروحانيات إلى الله سبحانه وتعالى، فنعبدهم ﴿ليقربونا إلى الله زلفى﴾[٣]. فاتخذوا أصناما أشخاصا على مثال الهياكل السبعة، كل شخص في مقابلة هيكل، وراعوا في ذلك جوهر الهيكل،

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣.

وتقربوا إلى أصنامهم لتقضي لهم حاجاتهم.

فأصحاب الهياكل هم عبدة الكواكب، وأصحاب الأشخاص هم عبدة الأوثان؛ إذ سموها آلهة في مقابلة الآلهة السماوية، وقالوا: ﴿**هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾[٤].

٣ ـ الحلولية:

الحلولية: «وهؤلاء زعموا أن الإله المعبود واحد في ذاته، وجعل الكواكب مدبراً في العالم السفلي، فالكواكب آباء أحياء ناطقة، والعناصر أمهات، وما يؤديه الآباء من الآثار إلى الأمهات تقبلها بأرحامها، فتحصل من ذلك المواليد وهن مركبات، والإله تعالى يظهر في الكواكب السبعة، ويتشخص بأشخاصها، من غير تعدد في ذاته، وقد يظهر أيضاً في الأشخاص الأرضية الخيرة الفاضلة، وهي ما كان من المواليد، وقد يتركب من صفو العناصر دون كدرها. واختص بالمزاج القابل لظهور الرب تعالى فيه، إما ذاته، وإما صفة من صفات ذاته، على قدر استعداد مزاج ذلك الشخص، وزعموا أن الله يتعالى عن خلق الشرور والقبائح، والأشياء الخسيسة الدنية، كالحشرات الأرضية ونحوها، بل هى واقعة ضرورة اتصالات الكواكب سعادة ونحوسة».

(٤) سورة يونس، الآية: ١٨.

٤ ـ الصابئة الفلاسفة[٥]:

«هم طائفة كانوا لا يعتقدون بشريعة معينة، ولا يلتزمون مذهباً خاصاً، بل يؤمنون بروحانية الكواكب فقط، ويأخذون من محاسن ما دلت عليه العقول، سواء وافق ذلك الأديان أم لم يوافقها، وهي تعرف الدين بأثره، فإن أورث السلامة، والرحمة، والكف عن الأذى، فهو الحق، وإن أورث الشر والهلاك، فهو الباطل.

٥ ـ الصابئة المعتدلون:

وهم الذين يسوُّون بين الأديان، ويقتبسون الفضائل ويلتزمون الحدود، ويحرمون المحرمات، يؤمنون ببعض بشارات الأنبياء، ويتشددون كثيراً في الطهارات، وهي طهارة البدن والثياب.

٦ ـ الصابئة المنكرون:

وهم الذين لا يدينون بشيء في هذا الكون، وإنما يؤمنون بوجود الصانع الحكيم.

٧ ـ الصابئة الحرنانية:

قال ابن النديم: قال أبو يوسف أيشع القطيعي

(٥) محاضرات في تاريخ المذاهب والاديان: ٣٠.

النصراني، في كتابه في الكشف عن مذاهب الحرنانيين المعروفين في عصرنا بالصابة: «إن المأمون اجتاز في آخر أيامه بديار مضر، يريد بلاد الروم؛ للغزو، فتلقاه الناس يدعون له، وفيهم جماعة من الحرنانيين، وكان زيُّهم إذ ذاك لبس الأقبية، وشعورهم طويلة، بوفرات كوفرة قرة جد سنان بن ثابت، فأنكر المأمون زيَّهم، وقال لهم، من أنتم من الذمة؟ فقالوا نحن الحرنانية. قال: أنصارىٰ أنتم؟ قالوا: لا، قال فيهود أنتم؟ قالوا: لا، قال فمجوس أنتم؟ قالوا: لا، قال لهم: أفلكم كتاب أم نبي؟ فجمجموا في القول، فقال: فأنتم إذن الزنادقة، عبدة الأوثان، وأصحاب الرأس في أيام الرشيد والدي، وأنتم حلال دماؤكم لا ذمة لكم، فقالوا: نحن نؤدي الجزية. فقال لهم: إنما تؤخذ الجزية ممن خالف الإسلام من أهل الأديان، الذين ذكرهم الله عزَّ وجلَّ في كتابه، ولهم كتاب، وصالحهُ المسلمون على ذلك، فأنتم لستم من هؤلاء، ولا من هؤلاء، فاختاروا الآن أحد أمرين: إما أن تنتحلوا دين الإسلام، أو ديناً آخر من الأديان، التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه، وإلا قتلتكم عن آخركم، فإني قد أنذرتكم إلى أن أرجع من سفرتي هذه، فإن انتم دخلتم الإسلام، أو في دين من هذه الأديان التي ذكرها الله في كتابه، وإلاّ أمرت بقتلكم، واستئصال شأفتكم». ورحل المأمون يريد بلد الروم، فغيروا زيهم، وحلقوا شعورهم،

وتركوا لبس الأقبية، وتنصَّر كثير منهم، ولبسوا زنانير، وأسلم منهم طائفة، وبقي منهم شرذمة بحالهم، وجعلوا يحتالون ويضطربون، حتى انتدب لهم شيخ من أهل حران، فقيه، فقال لهم: قد وجدت لكم شيئاً تنجون به، وتسلمون من القتل، فحملوا إليه مالاً عظيماً من بيت مالهم، أحدثوه منذ أيام الرشيد إلى هذه الغاية أعدوه للنوائب، فقال لهم: إذا رجع المأمون من سفره فقولوا له: نحن الصابئون، فهذا اسم دين قد ذكره الله جلّ اسمه في القرآن الكريم، فانتحلوه فأنتم تنجون به، وقضى أن المأمون توفي في سفرته تلك بالبذندون، فانتحلوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت، لأنه لم يكن بحران ونواحيها قوم يسمون بالصابئة. فلما اتصل بهم وفاة المأمون، ارتد أكثر من كان تنصر منهم، ورجع إلى الحرانية، وطولوا شعورهم، حسب ما كانوا عليه قبل مرور المأمون بهم، على أنهم صابئون، ومنعهم المسلمون من لبس الأقبية؛ لأنه من لِبس أصحاب السلطان. ومن أسلم منهم، لم يمكنه الارتداد؛ خوفاً من أن يُقتَل، فأقاموا متسترين بالإسلام، فكانوا يتزوجون بنساء حرانيات، ويجعلون الولد الذكر مسلماً، والأنثى حرانية. وهذه كانت سبيل كل أهل ترعوز وسلمسين، القريتين المشهورتين العظيمتين بالقرب من حران، أي منذ نحو عشرين سنة»[٦].

(٦) الفهرست لابن النديم: ٣٢٠.

الصابئة المندائيون

حينما كنتُ بالعراق عام ١٩٨٠، في دورةٍ حول دراسة المخطوطات العربية، أقامتها جامعة الدول العربية (معهد المخطوطات)، كان من حُسنِ طالعي أن زرت معظم المدن العراقية من شماله إلى جنوبه، ومن شرقه إلى غربه، وكان من بين الأماكن التي قمت بزيارتها تلك التي يقطنها أبناء العقيدة المندائية، فرأيت فيهم الأخلاق الحميدة، وحُسن الضيافة، والأنفة، والمعاملة الطيبة الكريمة، وحبّ المعرفة، ووجدتهم مؤمنين بخالق عظيم أزلي، انبعث من نفسه، وانبعثت من لدنه الحياة، وإليه تعود، وهم يبدأون التلاوة، فيقولون: مبارك المولى، باسم الحي، المسبح، المولى المسبح، وهذا يخالف ما يزعمه بعض الباحثين من أنهم يعبدون النجوم والكواكب، وما إلى ذلك من الادعاءات الباطلة، التي لا تؤيدها مبادىء العقيدة المندائية.

والذي رأيته أنهم كانوا أصحاب عقيدة كتابية، جاء بها النبي

يحيى عليه السلام، ويعيش أبناء هذه العقيدة حول ضفتي دجلة والفرات، وخاصة منطقة البطائح، حيث يجتمع النهران في منطقة (القرنة)، وفي بطائح عربستان جنوب إيران حول نهر (كاران)، الذي يصب بالخليج العربي، وكانوا يسكنون هذه المناطق حين دخلت الجيوش الإسلامية تلك البلاد. قال ابن النديم: «هؤلاء القوم كثيرون بنواحي البطائح، وهم صابة البطائح، يقولون بالاغتسال، ويغسلون جميع ما يأكلونه»[1].

وقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم في ثلاث آيات: الأولى في الآية ٦٢ من سورة البقرة، في قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾. والثانية في سورة المائدة، الآية ٦٩ ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ومن آمن بالله واليوم الآخر وعمل عملاً صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ والثالثة في سورة الحج، الآية ١٧، في قوله جلّ جلاله: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد**﴾.

ومن المؤكد أن الصابئة المندائيين هم المقصودون في الآيات القرآنية، وذلك لتبعيتهم العقائدية للمباديء التي جاء بها سيدنا يحيى، الذي أتى ذكره في القرآن الكريم، على أنه نبي من

(١) الفهرست: ٣٤٠.

الله، فكيف وصل الصابئة إلى البطائح في العراق، مع أن النبي يحيى عاش في فلسطين؟.

أصل الصابئة المندائية:

الصابئة المندائيون هم أتباع النبي يحيى عليه السلام، واضطروا للهجرة من فلسطين إلى العراق، بسبب ما تعرضوا له من القتل والذبح على يد اليهود، ودليل ذلك ما يلي:

١ ـ جاء في الكتب المندائية المقدسة، وهي مصادر العقيدة المندائية، ما يؤكدُ ذلك، ففي كتاب (حران كويثا)[2]، أي حران السفلى أو الداخلية، نقرأ قصة هرب الناصورائي[3] من اضطهاد

(٢) حران كويثا (حران السفلى).. في اللغة المندائية، وتوجد نسخة منه في مكتبة المتحف العراقي.

(٣) الناصورائي: كلمة تعني أولئك الكُهّان الصابئين الذين يملكون المعرفة الحقيقية الدينية (الناصيروثة)، وتتلخص معتقداتهم وهي معتقدات الدين الصابئي بصورة عامة بما يأتي:

آ ـ الاعتقاد بكينونة عليا سامية، لا هيأة لها، يكون التعبير عنها عادة في خلق العوالم الروحية والأثيرية والمادية، وإن خلق مثل تلك العوالم قد أُنيطَ بمخلوقات نجمت عن الخالق، وبإرادة منه.

ب ـ الاعتقاد بثنائية الكون، وازدواج الشيء وضده، وتلازمهما كالنور والظلام، والخير والشر، ووجود كون منظور، وكون غير منظور شبيه له.

جـ ـ عدّ الروح منفية أسيرة في الجسم، وأن موطن تكوينها وأصله هو الكينونة العليا، فهي تعود إليها بعد تحررها من الجسم.

د ـ الاعتقاد بتأثير النجوم والكواكب في مصائر جميع مظاهر الحياة، ومن جملتها البشر، إضافة إلى أنها أماكن للمطهر بعد الموت. =

اليهود لهم في القدس (أورشليم)، وكيف بحثوا عن مأوى لهم فى جبال ميديا (طور ادمداي)، وكيف أن اليهود قد عوقبوا بتخريب أورشليم سنة ٧٠ للميلاد. وبعد هجرتهم إلى حران (وجدوا إخواناً لهم في الدين، ثم من هناك بدأت هجرتهم الثانية تحت رعاية الملك البارثي الصديق (أرطبانوس)، ويسمونه (أردوان ملكه) إلى القسم الأدنى من بلاد ما بين النهرين، حيث أقاموا لهم مراكز في مكان يُدعى الطيب (طيب ماثه)[٤]، بين واسط وخوزستان. ويتطرق الكتاب بعد ذلك إلى ذكر الفتح العربي لتلك الأصقاع، ويذكر إن وفداً من الصابئين (المندائي)، برئاسة أحد كبار كهنتهم، المدعو (دانقا)، قد ذهب لمقابلة القائد العربي، وعرض عليه أمر الصابئين. وإنّ القائد العربي أقرّهم على دينهم، فعُدّوا

هـ - الاعتقاد بوجود أرواح غير مرئية منقذة، تساعد الروح البشرية في رحلتها إلى العالم الآخر.

و - وجود لغة طقسية مملوءة بالرموز والاستعارات، تُمثّل أفكاراً وصفات قابلة للتجسد.

ز - الاعتقاد بوجود أسرار دينية لمساعدة الروح، أو ضمان بعثها من جديد، في جسم أثيري، ثم صعودها من عالم المادة إلى عالم الأنوار.

ج - الالتزام بسرية عظمى والاعتقاد بأن هناك أسراراً دينية، لا تباح معرفتها إلا للقلة من المكرَّسين دينياً، فالصابئون إذاً ينقسمون إلى قسمين:

١ - فئة الناصورائيين، وهم المسؤولون عن حفظ الدين وإقامة الشعائر.

٢ - المندائيون العامة.

(٤) الطيب مدينة أثرية في الجنوب الشرقي من مدينة العمارة.

أصحاب كتاب، وبقوانين المسلمين يؤدون الجزية. يقول الاستاذان نعيم البدوي وغضبان رومي، وهما من أبناء الصابئة، ومترجما كتاب الليدي دراور (الصابئة المندائيون): «وتكمن أهمية هذه الوثيقة التاريخية في تأكيدها للروايات الشفوية، التي يتناقلها الصابئون اليوم، وهي أنهم هاجروا إلى موطنهم الحالي في العراق من حران، وكانوا قبل ذلك في فلسطين»[٥].

وذكر الدكتوران مراد كامل، ومحمد حمدي البكري، في بحثهما (تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى الفتح الإسلامي) ما يأتي: «واللهجة المدعية (المندائية)، واسمها مشتق من الكلمة الآرامية (مدعا)، ومعناها المعرفة، ويسمى أصحابها بالصابئين أو المندعين (المندائيين)، وهم طائفة من القبائل الآرامية، التي كانت تسكن منطقة الأردن، ثم هاجرت منها إلى العراق[٦].

٢ - إن رمز الحياة العظمى هو (الماء الحي)، أو الجاري، أو ما يسمونه (يردنه). ويقول الصابئون: إنها تعني (نهرا) أو ماء جاريا).

والذي أراه أن المعنى الحقيقي لهذا اللفظ جاء من (نهر الأردن)؛ إذ ليس من المصادفة وجود هذا اللفظ في لغة الصابئة، وإنما جاء معهم من مواطنهم الأصلية حيث كانوا يعيشون في فلسطين[٧] وهو المكان نفسه، الذي كان يقوم به

---

(٥) الصابئة المندائيون: ١٥.

(٦) مجلة المقتطف: ج ١ ص ١١٥ لسنة ١٩٤٩.

النبي يحيى بتعميد. المؤمنين بعقيدته، حيث قتله اليهود، وقتلوا أتباعه[٨].

٣ ـ يعتقد الصابئة أن نبيهم هو يحيى، وتؤكد ذلك كتبهم المقدسة، تقول الليدي دراوور: «فهم يجيبون السائل بأن يحيى نبينا، كما أن نبيكم عيسى أو محمد»، حسبما يتطلب الحال. وفي الحقيقة فقد ملتُ مرة للاعتقاد بأنه كان اقتباساً من المسيحيين، إلا أنني أقتنعت بالتدريج، بأنه ليس مجرد إقحام، بل قد كانت له، (يحيى) علاقة حقيقية (بالناصورائي) الأصليين، الاسم الذي كان يطلق على أصحاب هذه العقيدة في الأيام الأولى.

جاء في كتاب (حران كويثا)، و(دراشة اديهيا) أن يوحنا كان نبياً ورسولا. ويقصد الصابئون من كلمة (شليهة) أنه جاء إلى الدنيا بأمر من الرب بمهمة خاصة، لا بمعنى الرسول الذي يأتي بدين جديد[٩].

فإذا علمنا أن النبي يحيى كان في فلسطين، وبها قتل. فالنتيجة الحتمية أن أتباعه كانوا من مجتمعه؛ أي الفلسطينيين الذين اضطروا للفرار بدينهم، هرباً من اضطهاد اليهود لهم، ومحاولة تصفيتهم جسدياً؛ للقضاء على الفكرة الجديدة التي آمنوا بها، وخاصة أن الكثيرين ممن آمنوا بالنبي يحيى كانوا من اليهود

(٧) يطلق الصابئون لفظ يردنه على الأنهار.
(٨) في فصل قادم ستتحدث عن عملية قتل النبي يحيى.
(٩) دروس يحيى.

أنفسهم. ومحاولة الأديان القديمة اضطهاد كل من يخرج عنها كثير الشيوع؛ فحينما جهر النبي إبراهيم بدعوته، قام المشركون باضطهاده، بل بمحاولة حرقه بالنار، وكذلك حينما ظهر سيدنا محمد قام الجاهليون بمحاربته، ومحاولة قتله، فهاجر بدينه إلى المدينة. وهذا ما حصل أيضاً مع الفرق التي حاولت الخروج عن اليهودية أو المسيحية أو الإسلام.

وما حدث مع الصابئة من تعرضهم للذبح، من قِبلِ اليهود جعل منهم ألد أعداء اليهود، يخالفونهم في كل شيء حتى إنهم يقيمون الأحزان بمناسبة غرق المصريين، الذين كانوا يلاحقون النبي موسى، ويطلقون على يوم غرقهم اسم «عاشورية».

٤ ـ اللغة التي يستخدمها الصابئة هي اللغة الآرامية المندائية، وهي مختلفة عن اللغة التي كان يستخدمها أبناء الرافدين. والآرامية هي اللغة السائدة في فلسطين في ذلك الزمن، ولا زال الصابئة يستخدمونها حتى يومنا هذا، فهي لغتهم الدينية، التي حافظوا عليها منذ نزلوا أرض العراق.

٥ ـ إن أشكالهم تختلف عمن يجاورهم من الأقوام، فهم أميل إلى الأجسام الطويلة والقوية، واللون الأبيض وهي الصفات نفسها التي يتصف بها سكان فلسطين، الذين وصفوا في الكتب المقدسة، بأنهم من القوم الجبارين، أو العمالقة الأشداء.

ومنه يتبين لنا أن الصابئة المندائية، أبناء عقيدة دينية، جاء بها النبي يحيى. وحينما تعرضوا للاضطهاد والقتل على يد اليهود، هاجروا باتجاه الشمال، فسكنوا حران، ثم اتجهوا للإقامة في جنوب العراق حيث تكثر المياة، التي تساعدهم على القيام بطقوسهم الدينية.

ظهور العقيدة الصابئية والطوائف التي عاصرتها

بدأت قصة الصابئة المندائية في فلسطين حيث نزلت أكثر الديانات السماوية، وحيث عاش النبي يحيى، فكيف كانت هذه البداية؟ إذا أردنا أن نصل إلى حقيقة نشأة الصابئة، فلا بد لنا من إلقاء نظرة على الطوائف التي كانت تسكن فلسطين. فبالإضافة إلى أصحاب الديانات القديمة الوثنية والتوحيدية، كان هناك طوائف يهودية متعددة الأفكار والتوجهات، ولاعتقادنا بعلاقتها بالديانة الصابئية، سنتحدث عن بعضها:

١ ـ السامريـــون:

الطائفة السامرية خليط من اليهود والأشوريين، ويقال إنهم قبائل آشورية أرسلها ملوك آشور إلى فلسطين ليسكنوها في أماكن القبائل اليهودية التي نفيت إلى ما بين النهرين، واختلطوا باليهود، الذين بقوا في فلسطين، فكان من نتيجة هذا الاختلاط اندماجهم بالسكن، والنسب، والعادات، والتقاليد وحينما استوطن بعض

اليهود أرض فلسطين بعد سقوط بابل، أنكروا على السامريين شعائرهم، وطقوسهم المخالفة لتقاليدهم، واتهموهم بعبادة الأوثان، ورفضوا مشاركتهم في بناء الهيكل الجديد، فعمد السامريون إلى بناء هيكل خاص بهم في جبل نابلس، وتعمدوا تدنيس معبد بيت المقدس، وحددوا القبلة في هيكلهم، ومثابة حجهم وعبادتهم، ولا تزال بقايا السامريين تحتفظ بتقاليدهم، وتعتمد على نسخة التوراة الخاصة بها. ومن عاداتهم أنهم حين يقدمون الأضاحي يقوم الكاهن بالكشف على الخراف؛ للتأكد من خلوها من العلامات، ثم يذبحها، وعند انتصاف الليل يؤكل اللحم بالأيدي، ولا يتركون منه شرحة صغيرة. أما الفضلات والعظام فتُحرق، وفي الصباح يحتفلون بعيد الفطير، وهم في هذه الطقوس يشابهون الصابئة، حين يقدمون الأضاحي ويأكلونها، ويمارسون في صلواتهم الركوع والسُجود والابتهال، وطريقة الصلاة قريبة من صلاة المسلمين.

٢ ـ الصدوقيـــون[١]:

وهي من الفرق الكبيرة التي انقرضت، وأخذوا اسمهم من كبيرهم صادوق. وتتميز عقيدتهم بإنكارها البعث والنشور، والثواب والعقاب فنعيمهم في الدنيا ﴿**إن هذا لهو الفوز العظيم**﴾[٢] وقالوا: إن العبد مسير لا خيار له، وأن كل شيء بقضاء

(١) يطلق عليها بالعبرية (صدوقيم).
(٢) سورة الصافات، الآية: ٥٩.

وقدر، وتقيدوا بمبدأ (النفس بالنفس، والعين بالعين، والسن بالسن).

٣ ـ الفريسيـــون[٣]:

للتسمية معنيان: الأول: الاعتزال؛ أي إنهم كالمعتزلة في الفرق الإسلامية، ذلك أنهم اعتزلوا طريق الجماعة، وتشددوا بالمحافظة الكبرى على التوراة والتلمود، وأنكروا استئثار الكهنة بالشعائر والطقوس، لذلك أقاموا الشعائر في بيوت خاصة، بعيدة عن الهيكل والكهان، والثاني: أنهم حكّموا العقل في تفسير النصوص الدينية، وتسامحوا بقبول الدية والغرامة بدل القصاص والعقوبة. وهم يعتقدون أن بعض الأفعال مقدرة، وبعضها مخير.

٤ ـ الربانيـــون[٤]:

ومفردها ربّان أي (إمام)، أو (حبر وفقيه)، وهم جمهور اليهود[٥] الذين يتبعون العلماء، وتفاسيرهم للمشنة والتلمود، وتقيدهم بذلك حرفياً.

٥ ـ القـــراؤون:

ويعتقد القراؤون بأن العبد مسؤول عن أفعاله، وينبذون

(٣) يطلق عليها بالعبرية (فروشيم).
(٤) يطلق عليها بالعبرية (ربانيم).
(٥) يستعمل اللفظ نفسه بالعربية وبالمعنى نفسه تقريبا.

التلمود، ولا يعترفون إلا بالتوراة، ويكثرون قراءته؛ لذلك سموا (بالقرائيين) وكان حبرهم في عهد الخليفة المنصور هو عنان بن داود، الذي ألف كتابين دعا فيهما إلى تحرير التوراة من قيود التلمود. ومما يؤثر عنه: «لو كنت أحمل أرباب التلمود في بطني، لقتلت نفسي، وقتلتهم معي»[٦].

٦ ـ الاسينيون[٧]:

انشقت هذه الطائفة عن عامة اتباع الدين اليهودي، واتخذت لها طريقاً مختلفاً، فآمن الاسينيون بالفضيلة المطلقة، واستقبحوا الشهوات، وعدّوها جريمة، وأحبّ بعضهم بعضاً حبّاً صادقاً، وأول أهدافهم كبح جماح النفس، وقمع نزوة الهوى، ولا يتزوجون بُعداً عن الشهوة، ويتبنون أولاد غيرهم، ويربونهم على عقيدتهم، فيعتادون عاداتهم، ويؤمنون بمبادئهم، ويتأدبون بآدابهم، والداخل في ملّتهم، يقدم لهم كل ما يملك، فالملكية عندهم مشاعية، ويمتنعون عن استخدام العطور، ويلبسون الألبسة البيضاء[٨]. وإذا انتقل أحدهم إلى مكان آخر حلّ على أبناء عقيدته، له ما لهم، وعليه ما عليهم، كواحد منهم، ولو لم

(٦) مخطوطات البحر الميت: ٤٥.
(٧) هناك تشابه كبير بين بعض عقائد هذه الفرقة وعقائد الصابئة، ومن هذه الفرقة خرج النبي يحيى، وعاش أبناء هذه الفرقة بالبرية، بعيداً عن الناس.
(٨) كما هي عند الصابئة في أصل عقيدتهم.

يعرفوه من قبل، ولا يتبايعون، وإنما يتقارضون قدر حاجة الواحد منهم، وطريقتهم في العبادة، الزهد والتفاني في طاعة الله. حينما تشرق الشمس يؤدون الصلاة[٩] باتجاهها، ثم ينتشرون للعمل، ولا يجتمعون حتى الساعة الخامسة، فيغيرون ملابس العمل، ويغتسلون[١٠]، ثم يتجهون نحو الطعام، فيأخذون مقاعدهم، كأنهم في معبد، ولكل منهم رغيف وأدام يباركه الكاهن[١١]، ثم يأكلون، وحاشا لأحدهم أن يمد يده إلى فمه قبل البركة. وهم لا يؤمنون بالحرب[١٢] إلا إذا اضطروا، ولا يحلفون اليمين، إلا يمين حفظ العقيدة بسرية عن الناس[١٣]، ولا يقبلون العضو في جماعتهم إلا بعد عام من طلبه الانضمام إليهم، ثم يختبرونه، وبعد نجاحه يقدمون له وتداً يضعه في حزامه، وثوبا أبيض اللون، فإذا سار على طريقهم طوال السنة، رُقّي لأول درجة، وغمسوه بالماء الطاهر[١٤]، ولكنه لا يجالسهم بالطعام إلا بعد اختيار آخر

(٩) يقيم الصابئة الصلاة الأولى حين ظهور الشمس.
(١٠) الاغتسال من الطقوس المعمول بها عند الصابئة، بل هي من أول طقوسهم.
(١١) نلاحظ عند الصابئة الطريقة نفسها حين تناول الطعام، حيث يقوم الكاهن بمباركة الطعام قبل تناوله.
(١٢) لا يؤمن أبناء الصابئة بالحرب، وهي محرمة في عقيدتهم.
(١٣) يقسم الصابئون قسم حفظ العقيدة، وعدم البوح بها، وحفظها بعيدة عن الناس، ويحرمون غير هذا القسم.
(١٤) يمارس الصابئة الأسلوب نفسه حينما يرقون الصابئين من درجة دينية لدرجة أعلى، والغمس بالماء فرض لا بد منه.

مدته سنتان، يُقْبَلون به بعدها عضواً في جماعتهم، بعد أن يحلف يمينا مغلظة بالعمل بعقيدة الجماعة، ويحفظ هذه العقيدة سرية عن الناس. ومن عاداتهم أن يتحاشوا البصاق بوجود بعضهم، وإذا خرجوا للغائط حفروا بالوتد ليواروا فضلاتهم، ويستنجون بالماء. يتحملون الأوجاع والآلام، ويداوون مرضاهم بالصلاة والأوراد والأدعية[١٥]، ويؤثرون الموت على الحياة، والخلود للروح لا للجسد[١٦].

(١٥) يلجأ كثير من المسلمين للمعالجة بالأدعية والصلاة والأوراد، كما تلجأ بعض الفرق المسيحية المعاصرة للمعالجة بالأدعية دون استعمال الأدوية، كطائفة المورمون. ويبين لنا الأستاذ عبد الرزاق الحسني في كتابه «الصابئون»، موقف الصابئة من المداواة فيقول: «مرض الكنزبرا الشيخ جودة في العمارة، فراجع الجراح الشهير الدكتور السيد حسن الحسني، فوصف له هذا دواءً ناجعاً، ولكنه امتنع عن أخذه قائلا: إنه يفضل الموت على شرب الدواء. وقد مات فعلاً دون أن يتناول جرعة من الدواء المذكور. وأكد لنا الكنزبرا الشيخ دخيل أن رجال الدين يفضلون الموت على أخذ أي علاج، إلا أنهم قد يتساهلون ـ اليوم ـ فيسمحون بحقنهم بالإبر الشافية تحت الجلد، إذا ضمنوا الشفاء». الصابئون: ١٠٤.

(١٦) وهي المبادىء نفسها التي يؤمن بها الصابئة، بل إن الصابئة تعدّ الجسد سجناً يسجن الروح، فبانطلاقها منه، وذهابها إلى عالم النور، تتخلص من هذا القيد.

١ ـ النبـــي يحيـــى

كان مولد النبي يحيى معجزة من المعجزات الإلهية ومكرمة من مكارم الأنبياء، ذلك أن والده النبي زكريا بلغ من العمر عتيًا، وامرأته عاقر لا تنجب، ومع ذلك، فإن الله عزَّ وجلَّ، استجابة لدعاء زكريا، بأن يكون له ابن يرث النبوة من بعده، رزقه بابنه يحيى. وقد ورد في القرآن الكريم والإنجيل، وكتب الصابئة المقدسة، وصف لميلاده، ونبوته، ووفاته. فقد جاء في القرآن الكريم:

﴿هنالِكَ دعا زكريا ربَّهُ قالَ ربِّ هبْ لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يُصلي في المحراب أنَّ الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيّداً وحصوراً ونبيّاً من الصالحين * قال ربِّ أنّى يكون لي غلامٌ وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعلُ ما يشاء، قال ربِّ اجعل لي آية قال آيتك ألاَّ تُكَلِّمَ الناس ثلاثةَ أيام إلاّ رمزاً واذكر ربك كثيراً وسبّح بالعشي والإبكار﴾[١].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

قال ابن كثير في تفسيره: «قال قتادة وغيره: إنما سُمّي يحيى؛ لأن الله أحياه بالإيمان، وروى العوفي وغيره عن ابن عباس، وقال الحسن، وقتادة، وعكرمة، ومجاهد، وأبو الشعثاء، والسُّدي، والربيع بن أنس، والضحاك، وغيره، في هذه الآية: ﴿مصدقاً بكلمة من الله﴾؛ أي بعيسى بن مريم. وقال الربيع بن أنس: «هو أول من صدق بعيسى بن مريم»[٢]. وقوله (سيداً حصورا) قال قتادة: سيداً في العلم والعبادة، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يلقى الله إلا ذا ذنْب إلا يحيى بن زكريا».

قال تعالى: ﴿يا زكريا أنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا﴾، و﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً، وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا، وبرا بوالديه، ولم يكن جباراً عصياً، وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يُبعث حياً﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وزكريا إذ نادى ربه ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسرعون في الخيرات﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾[٥].

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٦١.
(٣) سورة مريم، الآيات: ٧-١٢.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٨٤.

وذكرت الأناجيل النبي يحيى في عدة مواضع، منها ما جاء في الأصحاح الأول من إنجيل لوقا: «كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا، من فرقة أبيا وامرأته من بنات هارون، واسمها اليصابات، وكانا كلاهما بارين أمام الله، سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم. ولم يكن لهما ولد؛ إذ كانت اليصابات عاقراً، وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما، فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت، أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويُبخِّر، وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البَخور، فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور، فلما رآه زكريا، اضطرب ووقع عليه خوف، فقال له الملاك لا تخف يا زكريا، لأن طلباتك قد سمعت، وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا، ويكون لك فرح وابتهاج، وكثيرون سيفرحون بولادته؛ لأنه يكون عظيماً أمام الرب، وخمرا ومسكرا لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس، ويردُّ كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلاههم، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته؛ ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار؛ لكي يهيىء للرب شعباً مستعداً، فقال زكريا للملاك: «كيف أعلم هذا؟ لأني أنا شيخ، وامرأتي متقدمة في أيامها، فأجاب الملاك، وقال له: أنا جبرائيل، الواقف قدام الله، وأرسلت لأكلِّمك، وأبشرك بهذا»[٦].

(٦) إنجيل لوقا، الإصحاح الأول: ص ٨٩.

أما كتب الصابئة، فإنها تذكر يحيى في مواضع كثيرة منها:

جاء في كتاب (دراشة أديهيا): «ولد يحيى من أمه «أنشبي»، وكان زكريا و«أنشبي» طاعنين في السن، ولكن ما حدث هو هذا: لقد شربت انشبي ماء فحملت من ذلك الماء، ورأى أحد الكهان اليهود فيما يرى النائم بأن زكريا سيكون أباً، وسيكون ابنه نبياً، فانتظر اليهود يحيى ليقتلوه، وبعد تسعة أشهر، وتسعة أيام، وتسع دقائق[٧] ولدت «أنشبي» وليدها، وجاء «أنوش أثرا»[٨]، وأخذ الطفل وحمله إلى الفرات «زيوا»[٩]، ووضعه تحت شجرة تحمل ثمراً، تشبه الأثداء، أخذ يحيى يتغذى من حليبها مدة ثلاثين يوماً، أرسل «أنوش أثرا» بعدها امرأة تدعى «سوفان لوليتا» للعناية به، وفي اليوم الواحد والثلاثين، قدم أحد «الأثرى» لتعميده في اليردنة[١٠]، وعلمه بعد ذلك الأبجدية، وجلب كتاب الأرواح[١١]، ووضعه بين يديه، وعلمه القراءة والتلاوة، وحين بلغ يحيى الواحدة والعشرين من عمره، عمَّده جمع من «الأثري»، وجعلوه (ترميذه)، ثم علموه جميع الطقوس

(٧) يقول الصابئة المندائيون: إن الله أراد أن يميّز يحيى بن زكريا، وعيسى بن مريم عليهما السلام، فجعل مدة حملهما أكثر من تسعة أشهر.
(٨) روح من أرواح الحياة، وأنش يعني رجلاً، وأثرا يعني كائنا سماويا.
(٩) النهر السماوي الذي يقابل اسمه الفرات الدنيوي.
(١٠) اليردنة في الأصل نهر الأردن، وأصبحت تطلق كاسم لأي نهر.
(١١) سدرة أدنشمائة.

والشعائر الدينية، وأمروه أن يرافق «أنوش أثرا» إلى أورشليم؛ ليكون هناك نبياً، وجاؤوا بزورق استقله الاثنان في نهر الأردن، ووصلوا إلى أورشليم، وحين وصلا نادى «أنوش أثرا» بصوت عالٍ: «مَنْ من الموجودين قد فَقَد طفلاً، فليأت، وليطالب به، وسمعت خادم «أنشبي» النداء، ورأت الفتى، فذهبت إلى سيّدتها، وزفت إليها الخبر قائلة «تشبه عيناه عيني أنشبي» «ووجهه يشبه وجه زكريا»، وكانت «أنشبي» متقدمة في السن، نقية طاهرة، وكان زكريا شيخا أيضاً، وحين قالت الخادم: إنني رأيت فتى في زورق في النهر يشبهكما، نهضت «أنشبي»، وجرت مسرعة إلى النهر دون أن ترتدي عباءتها وتغطي رأسها، ولما شاهد زكريا ذلك غضب لنزقها وطلّقها، ولما شاهد شامس ذلك قال له، «إني لأعجب لك أن تُطلِّقَ زوجك دون ما سبب، لقد خرجت فرحة حين علمت أن ابنها على قيد الحياة»، فأجاب زكريا «سامحني يا مولاي، لقد ذهبت شبه عارية، فطلقتها دون أن أعرف سبب فعلتها». وجاءت (أنشبي) إلى النهر، واندفعت نحو يحيى، فعانقها وقبّلها، فوبخه «أنوش أثرا» لتقبيله امرأة يهودية[١٢]، أجاب يحيى: «سامحني أيها المولى، لقد وضعني الأب[١٣] في رحم هذه المرأة تسعة أشهر، فهي أمي، وقلب كل ولد يحن إلى

(١٢) يكره الصابئةُ اليهود كراهة مطلقة؛ لقيام اليهود بقتلهم وتعذيبهم، لردهم عن العقيدة التي جاء بها النبي يحيى.
(١٣) المقصود بـ(الأب) هنا (الحياة).

أمه». قال أنوش اثرا: «ذلك حق يجب على المرء أن يكرم والديه». ذهب يحيى بعد ذلك إلى أورشليم، وفتح عيون العميان، وشفى المرضى، وجعل الكسيحين يمشون على أرجلهم، وغضب الكهان، وجاؤوا إلى يحيى، وأمروه بمغادرة أورشليم في الحال، رفض يحيى ذلك، وتحداهم قائلا: «جردوا السيوف واضربوني، وهاتوا النار واحرقوني، والماء «أغرقوني» أجابه الكهان: «نحن نعلم يا يحيى أن السيوف لن تنالك، وأن النار لن تحرقك، وأن الماء لن يغرقك». وحين بدأ يحيى بتلاوة «الكنزاربه»[١٤] تكلمت طيور الهواء مسبحة بحمد الله، وفتحت الأسماك أفواهها بالدعاء (الحياة العظمى)[١٥].

وجاء في كتاب «كنزا ربا»: (وفي ذلك العهد يولد ابن اسمه يحيى بن أبو صادا ـ زكريا ـ، ويأتيه في شيخوخته، ويكون عمر أمه أنشوي مائة سنة، حينما تحمل به، وتلده في هرمها، وأما يحيى، فسوف ينشأ في أورشليم؛ لأن الإيمان يكون في صدره، وسوف يطوف الأردن، ويعمد الناس مدة ٤٢ سنة قبل أن يأتي العالم عطارد المتجسد، وبعد ولادة يحيى في أورشليم، بينما يطوف صقع الأردن ويُعَمّد، سوف يأتي مشيها[١٦]، ويتقدم بتواضع؛ ليصطبغ وينتفع بحكمته،

(١٤) الكتاب المقدس للصابئين المندائيين.
(١٥) أساطير صابئية: ٢٣ ـ ٢٤.
(١٦) المسيح.

لكن مشيها سوف يعبث بمذهب يحيى، ويغيّر عماد الأردن)[١٧]. هذه بعض الروايات المقدسة عن ولادة النبي يحيى.

وتذكر الكتب المقدسة الصابئية وفاته: (إنه آحس بدنو أجله، فقال لزوجته؛ ماذا أنت صانعة من بعدي؟) قالت: أنقطع عن الطعام والشراب تعجيلاً لأجلي، حتى أذهب وأنضم إليك، فقال يحيى: بل ستأكلين وتشربين ثم لا تخطريني ببالك. قالت: سأعتزل الغسل، ولا أضفر شعري ما بقيت، حتى أذهب، فقال يحيى: إنك لن تمضي ما تقولين، بل ستغتسلين، وتضفرين شعرك، وأصير عندك نسياً منسيًا. قالت سأنقطع في خبائي، لا أرى إنسيا حتى أموت، وأنضم إليك،. فقال يحيى: بل ستنقادين لإلحاح ذوي القرابة والأصدقاء، فيخرجونك من خبائك، وتسليني. فقالت: وما عسى أن أزيد على ذلك؟ قال: كل ما تكلمت به إنما هو خفة ورعونة، إن خير ما تعمليه من بعْدي: الابتهال إلى الله، ودعوة العلماء؛ ليأكلوا مما تذبحينه لأجلي، فيصلّوا عليّ، وتبقين أنت على بشاشتك، وما أن أتم يحيى حديثه مع زوجته، حتى وافاه منادهي (أبوه)، متمثلاً بصورة فتى، وطلب إليه أن يعمده، فوعده يحيى أن يعمل ما يريده في الغد، فلما كان الغد وافاه منادهي، وهو يصلي، فظن أنه

(١٧) مجلة المشرق، لسنة ١٩٠١.

جاء ليتعلم الصلاة، ولكنه أخذ قبسا ورمى به يحيى فنام، ودعا (منذادهي) الله جلّ جلاله أن يجعل النهار أربع ساعات، فأجابه الباري إلى دعائه، فلما استيقظ يحيى من سباته بعد مضي أربع ساعات، ذهب إلى الماء الجاري، فاغتسل وصلّى، وعندها طلب إليه الفتى (منذادهي) أن يعمّده، فنزل يحيى إلى النهر، وأمر الفتى أن يتبعه، فأخذ ماء النهر يرتفع بالتدريج، حتى غمر ثياب يحيى، فأسرع يحيى إلى اليابسة، فنزل الماء، ولما عاد يحيى إليه، عاد الماء إلى الارتفاع، وتكررت الحال ثلاث دفعات، فلما كانت المرة الرابعة، أسرّ منذادهي إلى الماء أن لا يرتفع، فظهرت الطيور والأسماك ترفل بحلل بيض، وأحاطت بيحيى ومنذادهي، فأدرك يحيى السِّرّ، وصاح: (تبارك اسمك يا منذادهي)، وقبّله من جبينه، فظهر منذادهي بمظهره السماوي، فأراد يحيى أن يلمس يده، فرد عليه الملاك (إن تمسّها تموت)، فرد يحيى أنه يتمنى ذلك الموت؛ ليذهب إلى عالم الأنوار (آلمي دنهوره)، فأعطاه منذادهي يده، فلمسها يحيى، فسقط جسده للحال ميتاً، ورجلاه في الماء، وسائر جسده خارجه، ولحقت نفسه بنفس منذادهي.

وبينما الروحان تسبحان في الفضاء، رأت روح يحيى جسده مطروحا على الأرض، تنهشه الطيور من كل جانب، وتأكل الأسماك به من جانب آخر، فتأوّهت، فسألها منذادهي

السبب؟ فأجابت إنها خلّفت وراءها أطفالاً كانت تود أن تقوم بأودهم، فرد الملاك عليها: (ما لهذا تأوّهت، ولكنك نظرت إلى جثتك تنهشها الطيور والأسماك، فجزعت، ولكني سأجعلها في حرز حريز، وعندها أخذ منذادهي حفنتين من التراب، وألقاهما على جثة يحيى، فكانت قبراً له. واستمرت الروحان في السير سوية حتى بلغتا نهر (دخشاشة)، وهو النهر الذي يفصل بين المطراثي والفردوس، فركبتا زورقا انتهى بهما إلى عالم الأنوار، فأقام يحيى في قصر منذادهي).

هذا ما تذكره الكتب المقدسة عن وفاة سيدنا يحيى، أمّا كتب التاريخ، فتتحدث عن أن هيرودتس الحاكم الروماني أراد الزواج من ابنة أخيه، فأباحَ اليهود له ذلك، فاستنكر النبي يحيى هذا الزواج، ورفع صوته مطالباً بمنعه، فطلبت (هيروديا) والدة العروس (سالومي) من ابنتها إقناع هيرودتس بقطع رأس النبي يحيى، والتخلص منه، فَذُبح يحيى، وجيء برأسه على طبق من فضة إلى حفل ماجن راقص، وكؤوس الخمرة تدور على الأصفياء والفتيات والعرايا راقصات مغنيات[١٨].

علاقة النبي يحيى بطائفة الأسينيين:

الأسينيون طائفة يهودية، انشقت عن عامة اليهود،

(١٨) التراث الشعبي: ٦/ ٧ ص ٦٥.

وأقامت في الصحراء بعيداً عن الناس، واتخذت لنفسها مبادىء وعقائد تختلف عما يعتقده اليهود في جوانب كثيرة. وقد بينا ذلك حينما تحدثنا عن هذه الطائفة، وكان الكثيرون من اليهود يرسلون أبناءهم للعيش مع هذه الطائفة، وتعلم مبادئها، وهذا ما فعله النبي زكريا، فألحق ولده يحيى بطائفة الأسينيين، فنشأ يحيى فيما بينهم، وعرف فيما بعد باسم (يوحنا المعمدان). (وخلال بواكير رجولة عيسى، بدأت إشاعة مؤداها أن يوحنا قد انشق عن جماعة الأسينيين، وأنه كان يعيش وحده في البرية، وقد ارتدى ثوباً بسيطا من وبر الجمال، مع نطاق من الجلد حول خصره، وبدأ يعظ الجماهير مباشرة، ولم يصبر على فترة التدريب الطويلة، التي كانت ضرورية لأيّ شخص يرغب في العضوية الكاملة في إخوان الاسينيين. وهكذا فقد كانت حركته جماهيرية)[١٩]. بدأ يوحنا في اجتذاب جمهور كبير، ولم يعد يراعي شرطاً مهمّاً واحداً في قانون السلوك الأسيني، وهو عدم إفشاء أسرار جماعته، حتى لو عُذِّب المرء حتى الموت. وقد سهل الإخفاق في مراعاة هذا الشرط على الرومان وأعدائه من اليهود التسلل إلى حركته. ولاحظ يوحنا تسللهم ووصفهم بالأفاعي، وأصبحت دعوة النبي يحيى دعوة عقيدية جديدة، تختلف في كثير من أفكارها عن العقائد اليهودية. وانضم إلى

(١٩) عيسى بيشر بالإسلام: ٥٦.

دعوته الكثير من أبناء البلاد من وطنيين، وأصحاب عقائد قديمة، ومن اليهود. وقد انضم السيد المسيح إلى الدعوة الجديدة، (فقام نسيبه يوحنا بتعميده في مياه الأردن)[٢٠].

وكان يوحنا يعرف أنَّ الأفاعي كانت ستنجح قبل أن يشرع في القتال، ولذلك فإن معمودية عيسى أتاحت له كثيراً من الارتياح، بقدر ما كان متأكداً من أن هذه الحركة لا تنتهي بانتهاء حياته. وكما كان يوحنا قد تنبأ فقد قام اليهود بالتعاون مع الملك هيرودس بقطع رأسه، وتولّى عيسى مهمته من بعده[٢١].

إلا أن الكثيرين من أتباع النبي يحيى لم يعترفوا بعيسى؛ لاعتقادهم بأنه (خرج عن الدين، وقاد الناس إلى دين آخر، وباح بالعقائد الباطنية، وجعل الدين أكثر يسرا)[٢٢]. وجاء في ديوان (حران كويثه)[٢٣] وصفا لعيسى عليه السلام: (قدْ حرف كلمات النور، وأبدلها بالظلام، وغيَّر دين أولئك الذين كانوا على ديني، وبدَّل جميع الشعائر (أبيداثا)، وأقام هو وإخوانه في جبل سيناء، ودعوا لأنفسهم جميع الناس، وجلبوهم لدينهم، وأطلقوا عليهم اسم

(٢٠) مخطوطات البحر الميت: ٣٣.
(٢١) عيسى بيشر بالإسلام: ٥٨.
(٢٢) الصابئة المندائيون: ٤٢.
(٢٣) من الكتب المقدسة عند الصابئين.

كريستيانا، وسموا على اسم مدينة الناصرة (نزرته مدنتا)[٢٤].

إلاَّ أن عقيدة النبي يحيى انتشرت بشرياً، واتسعت جغرافياً، حتى أصبحت خطراً على العقيدة اليهودية، فتكاثرت قوى الشرّ الوثني الروماني واليهودي، فأقامت المذابح للصابئيين، فذبحت منهم عشرات الألوف، ففروا بدينهم إلى خارج فلسطين متجهين نحو الشمال. والكتب الدينية الصابئية، تذكر هذه الحوادث باستفاضة واضحة. وهي مذكورة في أكثر كتبهم الدينية. ولإيضاح حجم المذبحة التي تعرَّض لها الصابئون يذكر ديوان (حران كويثا) ذلك قائلاً: (وبعد ستين عاماً من وفاته (يحيى)، حصل اضطهاد للناصوائي[٢٥] في أورشليم إلى حد لم ينج أحد من الحواريين ومن الناصورائي)[٢٦].

(٢٤) الصابئة المندائيون: ٤٦.
(٢٥) الناصورائي: كلمة تعني الكهان الصابئين الذين يملكون المعرفة الحقيقية الدينية.
(٢٦) الصابئة المندائيون: ٤٧.

مخطوطات البحر الميت والصابئة

ليس من المستغرب إن نجد أفكارا تشابه، إلى حد بعيد، أفكار الصابئة في مخطوطات البحر الميت، التي اكتشفت عام ١٩٤٧، بالقرب من البحر الميت؛ فاللفائف المخطوطة التي وجدت، تتحدث عن عقيدة الطوائف التي عاشت في كهوف بالقرب من البحر الميت، بعيداً عن اليهود واضطهادهم لأصحاب هذه العقائد. فتعاليم يوحنا المعمدان نجدها واضحة في هذه اللفائف، ففكرة المعمودية وطقس الاستحمام، والتنبه إلى أن التطهير والاستحمام لا يزيل الذنوب ما لم يسبقه تطهير روحي، والتبشير بالمسيح[١]. وهناك تشابه بين انتظار يوحنا المعمدان للمسيح وتعميده، وما جاء في مخطوطات البحر الميت، فقد تنبأ يوحنا بأن الذي سيأتي بعده سيحكم بعقوبة النار. وهذه الفكرة واردة بصراحة وقوة في أحد مزامير الشكر؛ إذ تقول: (إنَّ أعاصير

(١) يعتقد الصابئون بأن المسيح خرج عن العقيدة الحقيقية التي جاء بها النبي يحيى.

الشيطان الرجيم سوف تلتهم بالنار حتى أسس الجبال)[٢]، وجاء في المخطوطات (إن حركة يوحنا بزغت بين الكهنة والرهبان، ولكنها تحررت منهم فيما بعد، مثلما وقع لطائفة قمران على الأرجح، وكان يوحنا يوجه كلامه إلى الشعب بأجمعه، بعكس القمرانيين والاسينيين)[٣].

وجاء في مخطوطات البحر الميت، شرحاً لعقائد الجماعات التي عاشت في الكهوف، وهي أفكار وعقائد قريبة من عقائد الصابئة، منها: (لا تدع رجلاً يغتسل بالماء القذر، أو بما لا يكفي لتغطيته، كما لا يجوز أن تطهر بالماء المستعمل أي وعاء، كل نقرة في الصخر يجب أن يُغطّىٰ ماؤها، فإذا لمسها رجل قذر زالت طهارته)[٤]. وتنطبق هذه الفكرة مع عقائد الصابئة (لا تدع أي رجل يرسل إلى المذبح تقدمات محروقة، أو ضحايا، أو بخوراً، أو خشبا يحملها رجل نجس، وعندما يدخل أي واحد إلى مكان العبادة لا تدعه، إلا إذا كان نظيفا)، (لا تسمح لأي كائن حي بأكل الزواحف، والحشرات، والنمل، ولا دم أي حيوان يخرج منه عند الذبح، جميع الخشب والحجارة والغبار التي أفسدتها قذارة الإنسان تصبح قذرة، وتنجس من يلمسها، وكل آلة

(٢) مخطوطات البحر الميت: ٣١٦.
(٣) مخطوطات البحر الميت: ٣١٦.
(٤) المصدر نفسه: ١٦٢، في العقيدة الصابئية أن تغطي المياه الإنسان بالكامل.

كالمسمار، أو الوتد في الحائط لامست الأموات تصبح نجسة، ولا سيما إذا صنعت من مادة نجسة)[٥].

ويقول كتاب النظام (على الذين ينضمون إلى الجماعة أن يحبوا أبناء النور، وأن يمقتوا أبناء الظلام)[٦].

ويقول كتاب النظام إن الله (خلق الإنسان، لتكون له السيطرة على العالم، وكيف جعل له روحين يستطيع أن يسير بهما إلى أن يحين موعد الافتقاد الإلهي)، وهاتان الروحان تسميان: أرواح الحقيقة، أرواح النور والظلام، وأيضاً أمير النور، وملاك الظلام، وهذه الثنائية في الخير والشر من المبادىء الأصلية في العقائد الصابئية، ومفهوم الروح في المخطوطات يتطابق تماماً مع مفهومه في العقيدة الصابئية: (الروح عبارة عن شرارة من النور الإلهي اجتمعت في عالم المادة المظلم)[٧]، وتؤكد مخطوطات البحر الميت على تسمية الصالحين (بأبناء النور)، والأشرار (بأبناء الظلام)، وهي التسمية التي لا زالت مستعملة حتى الآن في العقيدة الصابئية، وجاء أيضاً (حرب أبناء النور مع ابناء الظلام، ان

(٥) مخطوطات البحر الميت ١٦٥، والإنسان عند الصابئة حين يقترب من الموت يغسل قبل موته، لأنه بعد الموت يصبح جسداً غير طاهر بمجرد خروج الروح منه.
(٦) مخطوطات البحر الميت ٢٥٦، وهي نفس عقيدة الصابئة فأبناء النور هم الفائزون اصحاب العقيدة الصحيحة أما أبناء الظلام فهم الكفرة غير المؤمنين.
(٧) مخطوطات البحر الميت ٢٥٧.

الملائكة الصالحين هم مع جيش ابناء الحق)[٨].

ويطلق الصابئة على النبي يحيى لفظ معلم الحق، ذلك أنهم لا يعتقدون أن الله يرسل نبياً من عنده ويعطيه اللفظ الذي سيتحدث به، بل إن الله يلهمه قول الحق، ومثل ذلك جاء في المخطوطات (إن المستقيمين هم الذين استمعوا إلى معلم الحق، وأما الأشرار فقد رفضوا الاستماع إليه، والشيء الضروري للخلاص مجرد الإيمان برسالة معلم الحق، والوفاء لتعاليمه)[٩].

وكما رغب الصابئة بتدمير القدس، وقتل اليهود، الذين يعيشون فيها، لقيام اليهود بطردهم وقتلهم، وهو ما حدث فيما بعد، فقد جاء في المخطوطات: إن الله سوف يسوق محاربين أجانب، يغزون البلاد ويدمرونها)[١٠].

وتصف المخطوطات هرب المؤمنين من ظلم اليهود: (ولكن الذين وقفوا مخلصين، هربوا إلى أرض الشمال، وسكنوا خياما في دمشق، وكتبوا الشريعة، وطبقوها بقيادة النجم الذي فسر الشريعة، وهو خارج من يعقوب، كأنه صولجان هارب من إسرائيل، ليقود الجماعة، ويحطم جميع أبناء الشر)[١١]. وتتحدث إحدى القطع المكتشفة سنة ١٩٤٩، فتشير إلى الحقيقة

(٨) المصدر نفسه.
(٩) مخطوطات البحر الميت: ٢٦٤.
(١٠) المصدر نفسه: ٧٧.
(١١) المصدر نفسه: ١٦٢.

القائلة: (إن الأشرار، في الأيام الغابرة، تجاهلوا تحذير الله، ولذلك هلكوا، والنصر مؤكد للنور على الظلام، وسجن الملائكة الأشرار، ثم يشرق العدل كالشمس، ويمتلىء العالم بالمعرفة، بينما يهلك الأشرار إلى الأبد)[١٢].

والروح عند الصابئة محبوسة في جسدها، وحينما تنطلق من الجسم، فإنها تتخلص من السجن. ومثل هذا جاء في المخطوطات: (إن الأجسام تفنى، وإن المادة التي عملت منها ليست خالدة، ولكن النفوس هي الخالدة، والتي تعيش إلى الأبد، وعندما تتحرر مع ربقتها، كأنها مربوطة بأجسادها، وكأنها في سجن بقوة سحرية، عندئذ تذهب الأجساد إلى الفناء، وتذهب الأرواح إلى الخلود)[١٣].

مما مر معنا من الفقرات الواردة في مخطوطات البحر الميت يتبين لنا أن هذه الفقرات تحمل أفكار الصابئة، أتباع العقيدة التي جاء بها النبي يحيى، على الرغم من أن هذه المخطوطات لم تشر بوضوح إلى أنها تمثل عقيدة يحيى، إلاّ أنها تشير بوضوح كامل إلى أنها تمثل آراء طائفة تعرضت للاضطهاد من قبل اليهود. وتؤكد أن هذه الجماعة هاجرت باتجاه الشمال، وهذا ما يتوافق مع الأحداث التي مرت بها طائفة الصابئة.

فالرأي الثابت لدينا بعد أن تحدثنا عن حياة النبي يحيى،

(١٢) المصدر نفسه: ٢٦٦.
(١٣) المصدر نفسه: ٢٨٠ - ٢٨١.

وعلاقته بالصابئة واعتقادهم بأنه نبيٌّ خاص بهم، وعما أوردته مخطوطات البحر الميت، وعن ذكر القرآن للصابئة، أنّ الصابئة المندائية الموجودين في العراق وجنوب إيران، أصحاب عقيدة كتابية توحيدية، إلا أن هذا لا يعني أن العقيدة التي جاء بها النبي يحيى واعتقدها الصابئة بقيت على حالها[١٤]، بل إن البعد الزمني، والاضطهاد الذي تعرض له الصابئة من قبل اليهود، واضطرارهم للهجرة بدينهم إلى العراق، ومن ثم تقوقعهم على أنفسهم، واحتفاظهم بلغتهم الأصلية، ثم تعرضهم على مر الزمن للمضايقات، واضطرارهم لمخالطة الأقوام المجاورة لهم، وتقليدهم للبقاء على قيد الحياة، غَيَّرَ الكثير من جوهر عقيدتهم، وأعطاها أشكالاً جديدة يعدّها أصحاب الديانات الأخرى بعيدة عن جوهر التوحيد.

(١٤) يشير مخطوط (ديوان حران كويثه) إلى الانشقاق الذي حصل في صفوف (الناصورائي)، ويصف كيف حدث قبل الفتح الإسلامي بست وثمانين سنة، (إن خدع أحد الرؤساء الأمة (قبقل ريش أمة) من قبل الروهة، متكرة بزي نوراني، بحيث إنه هو وكهانه وأناس آخرون كثيرون انحرفوا عن العقيدة الحقة، وكتبوا كتابات مستوحاة من قوى الظلام). ويظهر أن المروق، أو الانحراف، كان لا يزال قويا إذ ذاك؛ لأن الكاتب ينصح الناس بتجنب الاتصال بهؤلاء الخوارج، ويحرق كتبهم وتدميرهم.

كتب الصابئة

لم تطبع الكتب المقدسة المندائية، بل قام الكهان بنسخها باليد، ويعتقد الصابئون بأن امتلاكهم لهذه الكتب يحميهم من الشرور في الدنيا والآخرة. وتكتب هذه الكتب باللغة المندائية، وقليل من عامة الصابئة يستطيع قراءة هذه اللغة أو كتابتها، فتعلمها محصور برجال الدين. ويمتنع الكهان من تعليم اللغة المندائية لأبناء الشعب، حتى تبقى كتابة وقراءة هذه اللغة حكراً عليهم[١].

وتغلف الكتب المقدسة تغليفاً تاماً بالخام الأبيض، وتربط بأشرطة من الخام أيضاً، ويصنع الكهان الحبر بأنفسهم. وينبغي

(١) يعتقد الصابئة بأنهم توارثوا كتبهم المقدسة بصورها الحالية عن آدم، ومنه انحدرت إلى نوح، وبعد الطوفان إلى سام، ثم إلى ولده رام، حتى وصلت إلى يحيى بن زكريا.
ويمنع الصابئة أصحاب العقائد الأخرى من الاطلاع على كتبهم المقدسة؛ لأنهم يرون في هذا الاطلاع خطرا على عقيدتهم، فهو أمر محرّم يؤثم فاعله.

مقتبس من كتاب « كنزا ربا » في بعض صفات الخالق جل شأنه :
نص المقتبس باللغة المندائية

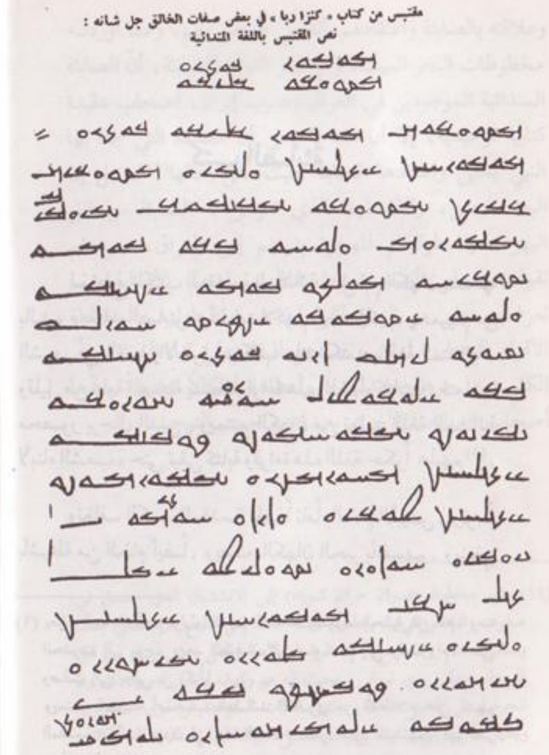

مقتبس من كتاب «كنزا رباء في بعض صفات الخالق جل شأنه.
نص المقتبس باللغة المندائية

أن يكون أسود لمّاعاً، وهو يحفظ على شكل بلورات تذاب بالماء حين استعمالها[٢].

وأكبر المخطوطات المندائية :

١ ـ كتاب (كنزه ربه)، (الكنز العظيم)، ويسمى أيضاً (سدرة ربه)، (الكتاب العظيم) أو (كتاب آدم)، وقد ترجم هذا الكتاب منذ عام ١٨١٣، وقام بترجمته ماثيو نوربيرغ السويدي، بحروف سريانية، مع ترجمة لاتينية، في أربع مجلدات في كوبنهاغن، وظهرت له ترجمات أخرى، كان أفضلها ترجمة البرفسور (ليدز بارسكي) إلى اللغة الألمانية، وطبع عام ١٩٢٥. ويحتوى هذا المخطوط على فقرات كثيرة، تتحدث عن نظام تكوين العالم، وحساب الخليقة، وأدعية وحكايات. والقسم الثاني من المخطوط (قسم الشمال) يعالج شؤون الميّت. وتختلف الصابئة في زمن كتابته، فمنهم من يرجع ذلك إلى ما قبل النصرانية، ومنهم من ذهب إلى أنه من عهد يوحنا المعدان[٣].

(٢) يصنع الحبر من الغراء بمزجه بالماء، ثم يغلى إلى درجة التبخر، ويسحق، ويخلط بمسحوق الفحم بنسبة مثقال واحد من الفحم إلى خمسة وعشرين مثقالا من الغراء، ثم يمزج بالماء، إلى أن يصبح عجينة ناعمة، ثم يغلى حتى يصير على شكل بلورات، تمزج بماء النهر، لعمل الحبر، وينبغي أن يتلى عليه دعاء (أسوثة ملكة) صلاة التسليم.
الصابئة المندائيون: ٦٨.

(٣) في خزانة المتحف العراقي نسخة كاملة من الطبعة الأولى برقم مطبوعات (٤٧٦٢/ ٤٧٦٦) وهي نادرة جدا، وتضم الخزانة أيضاً نسختان من هذا =

ومن مميزات هذا الكتاب أنه يتألف من قسمين يميني وشمالي، فإذا أمسكه أحدهم من القسم اليميني، كان قسمه الشمالي مقلوباً، أي يكون أعلاه أسفله، وإذا أمسكه من القسم الشمالي، كان قسمه اليميني مقلوباً، فيستطيع شخصان جالسان على ضفتي الساقية الواحدة أن يقرأا فيه في وقت واحد.

٢ ـ **دراشة أديهيا** (سدرا ديهي)؛ أي دروس يحيى، أو تعاليم يحيى. ويتضمن حياة النبي يحيى من بدء ولادته العجيبة، وتربيته في الجنة، ثم نزوله إلى الأرض؛ ليبلغ رسالته، إلى تاريخ وفاته، وصعوده إلى السماء. كما يتضمن تعاليمه وإرشاداته الدينية، ويقولون إن الملاك جبرائيل أوصىٰ يحيى أن يضع هذا الكتاب، ويسميه بهذا الاسم، وقد ترجمه إلى اللغة الألمانية المستشرق الألماني مارك ليدزبارسكي سنة ١٩١٥.

٣ ـ **سيدره آد نشماثة**[٤] وتعتقد الصابئة بأن هذا الكتاب نزل على سيدنا آدم، وأنه أساس الديانة الصابئية، وهو يبحث ما يجب اتباعه في الجناز، وتلقين الأموات، وكيفية دفنهم، وأسباب تحريم البكاء أو الحداد، ويشرح كيفية انطلاق الروح من الجسد

= الكتاب برقم (٢٥٣) وهي ١٦٨ + ٤٤٢ صفحة بقطع ٣١ × ٢١ سم، ورقم الثانية (١٤٤٠)، وهي في ٤٩١ + ١٨٢ صفحة بقطع ٣١ × ٢١ سم، وتحوي كل صفحة عشرين سطرا.

(٤) سيدرة ادنشماثة؛ أي طقس التعميد، وسر المعمودية المقدس.

حتى وصولها إلى عالم الأنوار (آلمي دنهورا)، وقد نقل المستشرق (ليدزبارسكي) القسم المختص بـ (طقوس التعميد) إلى الألمانية سنة ١٩٣٠ م، ونشر الكتاب بنصه المندائي في المجلد الخامس من مجموعة Mission scientifique en perse في باريس عام ١٩٠٤ م بعناية J. de Morgan[٥].

٤ ـ **كتاب القلستا** وهو يختص بالزواج وسننه، والاحتفالات التي تقام في أثناء العقد، والأناشيد التي تتلى فيه، وكيفية تحليل النكاح الشرعي، وإجراء الخطبة.

٥ ـ **اسفر ملواشه**[٦] وهو مخطوط لأغراض التنجيم والفلك، ويستعين شيوخ الصابئة به لمعرفة حوادث السنة المقبلة، ولمعرفة البرج الذي ولد الشخص به، (فيستنبطون منه اسمه المقدس، الذي يبقى محفوظا لديهم)[٧]، وقد نشرت الليدي دراور هذا الكتاب بنصه المندائي سنة ١٩٤٩، فجاء في ٢٨٩ صفحة، كما نشرت له ترجمة باللغة الانكليزية.

(٥) يوجد نسخة حديثة منه في خزانة المتحف العراقي باللغة المندائية، نسخت للأب أنستاس الكرملي سنة ١٨٩٤، على ورق معشر، وعدد صفحاتها ٢٨٤ صفحة، ورقمها (مخطوطات ١٨٩٦).

(٦) اسفر ملواشة، أي كتاب البروج.

(٧) الصابئون: ٨٩.

٦ ـ **تفسير بغره** ويعالج هذا الديوان المعنى الداخلي للوجبات الطقسية، كما يبحث في علم تشريح جسم الإنسان وتركيبه.

٧ ـ **كتاب الديونان**: ويسمى (الديوان)، وهو كتاب ضخم يُعدّ من أنفس كتب الصابئة، فيه قصص بعض الروحانيين مع صورهم، وهو قليل الوجود.

٨ ـ **ترسسر ألف شياله**[٨]: ويتألف من خمسة أجزاء، (يتناول الجزء الأول، الأخطاء في الطقوس، وطريقة غفرانها وإيضاح الشعائر)[٩].

٩ ـ **انياني** يتحدث هذا الكتاب عن الطهارة الصغرى (الوضوء) ـ الرشامة ـ، وبعض الأدعية للمسخته (الغفران).

١٠ ـ **ديوان طقوس التطهر** (طراسه)، والتكريس بأنواعه، كتكريس الكاهن، وتكريس المندى، وتكريس الأستاذ (كنزفره)، ويوجد نسخه منه في المتحف العراقي برقم (مخطوطات ٢٠٨٧).

---

(٨) ذكرته دراور (ألف ترسسر شياله)، وصححه مترجما الكتاب الأستاذان نعيم بدوي، وغضبان الرومي إلى (ترسسر ألف شياله)؛ أي اثنا عشر ألف سؤال.

(٩) الصابئة المندائيون: ٧١.

١١ ـ **دواوين** الرقى والتعاويذ، وتدعى (قماهي)، و(زرستي)[١٠]، وهي من الدواوين الطلسمية (والحرز الطلسمي نوعان، فالكبير لا يمكن للإنسان أن يحمله، ويدعى (قماهة)، أما الصغير (زرستا)، فهو الحرز المعتاد، وهو ثابت لا يتغير، ويكتب للتوّ على قصاصة طويلة من الورق، عرضها من عقدتين إلى ثلاث، تلف بإحكام، وتوضع في صندوق صغير من الذهب أو الفضة، بحيث يمكن تعليقها في عنق الإنسان بوساطة سلسلة أو خيط، وهذا النوع من الأحراز طويل عادة، حتى ليبلغ السبع أو الثماني أقدام طولا، ولهذا يستعمل له ورق رقيق جداً)[١١].

١٢ ـ **قماها** ذهيقل زيوا؛ أي (عودة ذهيقل زيوا)، وهو عبارة عن درج فيه أكثر من ألف ومئتي سطر. وتمثل تعزيمات يحملها متدينو الصابئة، ويعتقدون بأن من يلبسها لا يتأثر بالسلاح الناري، أو أي سلاح آخر (وفي آخر الدرج الأصلي الذي ينسخ عليه، والمحفوظ عند كاهنهم هذه العبارة: ازدهر، ازدهر لك انش لا تكدف، ومعناها تحفّظ، ثم تحفّظ، ثم أقول لك تحفّظ من أن تكتب القماها لكل من

---

(١٠) قماهي (قما باللغة المندائية تعني يقمط) زرستي (زرس تعني يقر ويصون).

(١١) الصابئة المندائيون: ٧٢.

كان أو لكل أحد)[١٢].

ونشر هذا الكتاب بنصه المندائي سنة ١٩٠٤ في باريس بعناية J. de Morgan في المجلد الخامس من مجموعة Scientifique en perse Mission. (وقد قيل: إنّ عدد الدواوين يبلغ أربعة وعشرين ديوانا، وهي أدراج كبيرة ومصورة أحياناً . . . ولا يظهر الكهان هذه الدواوين إلا بتهيّب، وبخاصة الديوانين المصورين، اللذين يحتويان على مواد غير دينية. إنهما مهمان؛ لأنهما يلقيان ضوءاً على الشعائر والعقيدة واللغة)[١٣].

فالأول ديوان نهر وانا (ست ياردات طولا، وثلاث عشرة عقدة عرضا)، وهو خارطة مزخرفة، ونص إيضاحي لأنهار العالم، حيث يجعلها جميعاً تتغذى من (فرات زيوا) ـ الفرات النوراني ـ، الذي ينبع من طور كارملا[١٤]، كما يصف الأشجار والنباتات والقصف في الأرض، وبعض الكائنات السماوية.

(١٢) الصابئون: ٩٠.
(١٣) الصابئة المندائيون: ٧٤.
(١٤) طور كارملا، وتعني جبل الكرمل الموجود قرب مدينة حيفا الفلسطينية، وهذا يؤكد العلاقة القديمة بين عقيدة الصابئة والأرض التي خرجت منها، حيث عاش النبي يحيى في فلسطين.
وقد جاء في أحد التراتيل الصابئية:
صعدتك يا جبل الكرمل

والثاني ديوان أباثر، طوله ٩ ياردات، وعرضه ١٣ عقدة، وتظهر بعض الصور في هذا الديوان. وهناك ديوان (حران كويثا)، وديوان (ملكوثا)، وديوان (آلما الايا)، و(آلمة ريشا يا ربه)، و(آلمة ريشايا زوطة). وقد قامت الليدي دراود بترجمة الديوانيين الآخيرين إلى اللغة الانكليزية، وهما مطبوعان وموجودان في مكتبة المتحف العراقي. وهناك ديوان (زهرون رازا كسيه)، و(قداهة ربه)، و(دموثة كشطه).

ارتقيتك يا جبل الكرمل
اثنتا عشرة جفنة كانت بانتظاري
رأتني الكروم
وعندما رأتني الكروم ازدهرت
ونشرت عنا قيدها
وعندما رأتني الكورم ازدهرت.
عن مجلة التراث الشعبي، العدد: ٩، السنة الخامسة ص ١٨.

رجال الدين عند الصابئة

غالباً ما تكون الكهانة وراثية عند الصابئة المندائية، وتوجد عائلات كان فيها الأب والابن كاهنين، ولعدة قرون متواصلة، إلا أن ذلك لا يعني أنه لا يوجد كاهن من أسرة غير كهنوتية، فقد يصبح الصابئي كاهنا، إذا كان منحدرا من عائلة صابئية الأب والأم، وليضعة أجيال معينة، وبطهارة معينة، ويمتلك الصفات البدنية والعقلية، التي تؤهله للوصول إلى الكهانة. والصابئة يحترمون ويقدرون رجال الدين، وكلمتهم منفذة في شؤون أبناء العقيدة الصابئية؛ فالزواج، والولادة، والتسمية، والتعميد، والصلاة، والذبح، والجناز، أمور لا تتم إلا بوساطة رجال الدين، ويقوم الصابئة بتقديم الهدايا لعلماء الدين؛ ليستطيعوا العيش عيشة كريمة.

يبدأ التدريب الديني للصابئي من الصغر، حيث يلبس (الرستة)[1]، ويقوم بوظيفة القندلفت (اشكنده) لأبيه، ويبدأ

(١) الرسته: الملابس الدينية.

بتَعلُّم الأبجدية منذ الثالثة، أو الرابعة من عمره، وحين يتعلم القراءة والكتابة المندائية يسمى (يلوفا)[٢]، وحينما يصبح قادرا على النطق يبدأ بحفظ الأدعية والصلوات، وعند سن البلوغ يمتنع عن قص شعره، ويشترط فيه أن يكون تام الأعضاء البدنية، وغير مريض، ويعدّ المختتن ناقص الجسم[٣]. كما أن العقيم أو الخصي غير مؤهل للكهانة، فإذا تعرض لخلل عقلي، يمنع من ممارسة أعماله الدينية، (وليس بدن الكاهن فقط هو ما يجب أن يكون سليما، بل سلالته أيضاً؛ إذ عليه أن يكون منحدراً من دم صابئي نقي، وأن تكون أسرته طاهرة جسميا وطقسيا لعدة أجيال، ومن جهتي الأم والأب، وتاريخ الأسر معروف لدى الكهان، وبخاصة أسر الكهان الذين يحتفظون بالأنساب الطويلة المدونة عادة في حواشي الكتب المقدسة .... فلا يسمح للفرد أن يصبح كاهنا إذا كانت إحدى جداته خلال فترة ثلاثة أجيال قد تزوجت مرملة، أو ليست بعذراء. ومن هنا يمكن أن يقال: إن كل كاهن قد ولدته امرأة عذراء)[٤].

وقد تصبح المرأة كاهنة من الدرجة العليا (كنز فري)، ولو أن هذا قليل. (ويوجد في كتاب «الكنزه» ذكر لكاهنات صابئيات ومع ذلك فديوان «الفترس شيالة» يحذر من تدشين امرأة ككاهن،

(٢) ورد صابئي مثقف دينيا دون درجة كهنوتية.
(٣) الاختتان محرم في العقيدة الصابئية.
(٤) الصابئة المندائيون: ٢٢٤.

حيث يقول: «احذروا أن تدشنوا امرأة كاهناً ـ ازدهر ولا تطرسون ناغة ال أنثى ـ)[٥].

درجات رجال الدين:

١ ـ الحلالي: ويسمى (الشماس):

وهو من اقتصرت دراسته على بعض الكتب الدينية الأولية، وتعمد التعميد الخاص بهذه الدرجة، ثم نذر نفسه للسير في الجنازة، وفي إقامة سنن الذباحة للعامة، ولا يتزوج إلا بكرا، فإذا تزوج ثيبا سقطت مرتبته، ومنع من وظيفته، إلا إذا تعمد هو وزوجته (٣٦٠) مرة في ماء النهر الجاري.

٢ ـ الترميده:

يجب على المرشح لهذه الدرجة أن يحفظ ما يكفيه من الطقوس والصلوات، ويكون قد اعتاد على العمل كـ (قندلفت)، ودرس الكتب المقدسة بإشراف كاهن أو أستاذ (كنز فره)، حتى يصبح مؤهلاً لأولى درجات الكهانة، وهي (الترميده)، ويسمى المرشح لهذه الدرجة (الشوليه)، ويكون هذا بعد البلوغ، حيث يتم تدشينه بمراسم خاصة. وسنشرح المراسم التي تقام بهذه المناسبة، وهي تعطينا فكرة واضحة عن المراسم التي تقام في مناسبات مشابهة. يكون الاحتفال بحضور تجمع كبير من

(٥) المصدر نفسه: ٢٢٤.

الصابئة، فتدشين كاهن حدث مهم، يدخل السرور والفرح إلى قلوب الصابئين، ويجمع الكنز فره الذي يرأس الحفل، ويدعى (ربى) أكبر عدد ممكن من الكهان. ويعمد المرشح عمادين، أحدهما على يد كاهن، والآخر على يد (الربى)، ويحضر بكبش بعد أن يغسل ويطهر، ويذبح بجانب الماء فوق فرشة من القصب، ويعدّ هذا الكبش فداء (فدوة)[٦]، وبعد ذلك يؤخذ (الشوليه) إلى المندى[٧]، حيث يتأكد الكهان من سلامة جسمه بصورة نهائية، بعد ذلك يرتدي المرشح ملابسه (رسته)، وتقوم عجوزان تجاوزتا سن الحيض بغسل ساقيه، واحدة من اليمين، والأخرى من اليسار. بعد ذلك يبنى كوخ من القصب في الطرف الجنوبي من ساحة بيت الكنز فره، أو المندى، ويقوم (الكنز فره والكهان) بالوضوء، ثم بإقامة (الرهمى)[٨]، ويأخذون أماكنهم داخل (الانديرونا)[٩] متجهين نحو الشمال، وأمامهم كتاب (سدره ادنشمائه)، ويقوم (الشوليه) بتلاوة (سدره دنشمائه) بأجمعها عن ظهر قلب، وهو خارج (الانديرونا)، يتابعه الكهان، ناظرين في

(٦) تمارس هذه العادة في أكثر الأديان، كاليهودية والمسيحية والإسلام.
(٧) بيت العبادة عند الصابئة.
(٨) رهمى: دعاء تمهيدي لطلب الرحمة، وتلاحظ أن لفظ رهمى قريب جداً من اللفظ العربي رحمه، وإنما في اللفظ المندائي تقلب الحاء هاء.
(٩) الأنديرونا: هو الكوخ الذي أقيم جنوب المندى، وبشكل دائم، فإن الأنديرونا تعني كوخاً من القصب، يقام في عقد المهر، وتكريس الكاهن.

نسخهم من الكتاب نفسه؛ ليتأكدوا من عدم أي خطأ، فالمرشح يعدّ مستحقا للكهانة إن لم يحفظ (سدرة ادنشمائه) عن ظهر قلب، كذلك عليه أن يحفظ (القداس الكامل للمسخثة)[١٠] و(الرهمى)، وبعد نجاحه يدخل (الأنديرونا)، فيقبل يد (الكنز فره والكهان)، فتُقرأ فوق رأسه تسع صلوات، ثم يخرج الجميع عدا الكنز فره والشوليه حيث يقضيان الليل في (الانديرونا) يقرآن الكتب المقدسة، ويقيمان الصلوات، ويجب وجود كتابي ديوان (آلمه ريشايه)، وديوان (ملكوثه اليثا)، وإلا عدّت المراسم لاغية، ولا يجوز (للكنز فره أو الشوليه) الخروج من الأنديرونا حتى الصباح، ويخرجان في الفجر الباكر قبل شروق الشمس، ويقوم الكنز فره يوم الأحد الأول (بالرهمى) وتعميد الشوليه. وعلى الأخير أن يقوم بتلاوة، وصلاة استئذان، وطلب الغفران (مشبه زيوه الكبير) وبعد الانتهاء من تلاوتهما يدخل إلى الماء ليتعمد، حتى إذا انتهى من ذلك خرج من الماء (وأخذ كتاب (كنزه ربه) ووضعه فوق رأسه مسنداً إياه بيده اليمنى، وهكذا يأتي من الماء ليدخل إلى «الشختة»[١١]، ويذهب الكهان إلى (الأنديرونا)، ويقومون بهدمها. ويجب على الشوليه أن يبقى داخل (الشختة) إلى صباح يوم الأحد الثاني، ولا يخرج منه إلا للوضوء (الرشامه)، أو استجابة لنداء الطبيعة، أو لغسل طعامه في

(١٠) المسخثه: عفران، قداس على روح الميت، أو من هو بحكم الميت.
(١١) شختته، بيت العبادة.

ماء النهر، ويبقى الكنزفره أكثر وقته مع الشوليه، يرشده ويصلّي معه، ولا يمنع الشوليه من تناول لحوم الضأن، والخضروات، والفواكه، والسمك، إذا طهرت بصورة صحيحة، وطبخت من قبل أحد الكهان، ولا يجوز أن تقوم امرأة بعمل طعام الشوليه في مثل هذه الحالات[١٢]. وفي الصباح الباكر من يوم الأحد الثاني وبعد الرهمى يقوم (الشوليه) بتعميد (الكنزفره)، ثم يقوم بتعميد سبعة كهان أو ثلاثة على أن يكون أحدهم (كنز فره). وبهذا تنتهي رحلة التكريس، وتبدأ فترة الطهارة، التي تستغرق ٦٠ يوما، يجب على الشوليه الاغتسال (طماشه) ثلاث مرات يومياً قبل (رهمى) الصباح، وعند الظهيرة وبعدها. ويعيش (الشوليه) بعيداً عن أسرته، وعن زوجه، إذا كان متزوجا، ويكون غذاؤه لحم الضأن، والطيور، والخضار، والفواكه، والحليب، ويقوم هو نفسه بصنع الخبز. وحينما تنتهي هذه المرحلة بشكل صحيح يقوم الشوليه بتعميد أستاذه (الكنز فره) مرة ثانية، وهي الأخيرة التي تدل على نجاحه في عمله، وبعدها يدخل إلى (المندى) لعمل وقراءة السخثة. وفي صباح يوم الأحد التالي يغسل (المندى) من الداخل والخارج، ويؤتى بالحمامة والكبش، المهيئين للذبح كأضحية، ويرتدي (الكنز فره) (الرسته) التي كان قد ارتداها في أول يوم من أيام تكريس (الشوليه)، ثم يقوم بذبح الحمامة، ثم يخلع الكنزفره الرستة، وتحفظ في صندوق.

(١٢) الصابئة المندائيون: ٢٣١.

أما الأطعمة، التي تستخدم في مثل هذه الطقوس، كما ذكرتها دراور، فهي:

١ ـ الطبوثة: وهي الزبيب، والسفرجل، وحب الرمان، وقطع من جوز الهند، وبعض اللوز المقشور، وبعض لحم الحمامة المشوي.

٢ ـ قنينة ماء.

٣ ـ (كبثة)[١٣] فارغة.

٤ ـ ست وستون رغيف خبزٍ صغيراً (فطيري كانت عجينتها قد هُيئت من قبل الكهان دونما ملح، يقوم القندلفت (اشكنده) بتهيئة الأرغفة، إلا أنه لا يقوم بخبزها بل يقوم بأمرارها ثلاث مرات فقط، بحركة دائرية، فوق النار، ويجلس (الشوليه) فوق لوح من الخشب، أو على كرسي من القصب، ويبدأ بتلاوة جميع الأدعية والتراتيل عن ظهر قلب.

ثم يبدأ «الشوليه» بتكريس ملابسه، وتاجه، وهو يذكر اسم أستاذه (ربى) الذي قام بتكريسه، في كل موضع فيه ذكر لاسم، ويكون عدد الأدعية هنا خمس، فبعد دعاء «مندا أقرْن» «يتلو» بشم الـ هيى ربى اسوثا وزكوثا نهويلي الهازا نشمثه دفلان بريلانيتا ادهازه مسخثه هيله أكبر وما بعدها، ثم يشد «البندامة» حول القسم الأدنى من وجهه (حنكه)، ويأخذ القنينة

(١٣) إناء معدني صغير لشرب الماء المقدس.

بيده اليسرى، وقليلا من البخور الذي فيها بيده اليمنى، ويتلو «هبل هيى قدماييي» (بقوة الحي القديم)، بينما يضع الشاهد أربع زبيبات في «الكبثة» الفارغة فوق «الطريانة»، ويقرأ المرشح «باسم الحياة أنت ماء الحياة...» وحين يصل إلى كلمات «اللواتي فارقت أجسادها «يصب قليلاً من الماء على الزبيب في «الكبثة»، حتى إذا وصل في دعائه إلى عبارة «روح المسخثة» يذكر اسم «الكنزه فره» ثم يرمي البخور في إناء النار، ويناوله الكنز فره غصنا من الآس، يأخذه بيده، ويبدأ بتلاوة ستة أدعية، ثم يأتي القندلفت، ويأخذ العجين الذي لا ملح فيه، ويمرره فوق النار ثلاثاً، مرددا «اشم ادهيى واشم اد منداد هي مدخر...» أي «اسم الحي أو الحياة، واسم منداد هيى منطوقان عليك» وتسمى هذه العملية «سهاده اد نوره»، أي التسهيد في النار)[١٤]. ويقوم المرشح، بعد ذلك، بوضع قدح الماء الممزوج بالزبيب فوق (الطريانة)، ثم يأخذ شيئاً من العجين، وغصن الآس لا يزال في يده، ويتلو تسعة أدعية، ويغمس خاتمه (شوم ياور) في القدح، ويتلو دعائين، ثم يأخذ (الكبثة) التي تحتوي على عصير السمسم والتمر (مشه)، ويضع الإكليل و(البهثة) فوق (الطريانة)، ويتلو ثلاثة أدعية، فإذا وصل بالدعاء الثالث إلى عبارة (بالبوشه اد يوزاطق

(١٤) الصابئة المندائيون: ٢٣٧. يقول الأستاذان بدوي وغضبان: إن معنى (سهاده ادنوره) التسهيد في النار، لاشهادة النار، كما قالت دراور.

منداهيى) يلف الإكليل بـ (البهثه)، ويتلو الدعاء نفسه إلى نهايته، ثم يناول الفطائر إلى القندلفت؛ ليضعها (واحدة فوق الأخرى كل عشرة سواء، فوق (الطريانة) حتى ينتهي من تكريس الفطائر الستين وتجميعها الواحدة فوق الأخرى، ويمسك المرشح بالإكليل فوق كل فطيرة، ويضع على كل منها شيئاً من حب الرمان، وجوز الهند، والبندق، والسفرجل والزبيب وشيئاً من لحم الحمامة، ثم يغمس اصبعه في الزيت (مشه) ويمر به عليها، وهو يتلو بعض الأدعية، وهكذا يرسم كل فطيرة خمس عشرة مرة، وحين ينتهي من رسم الفطائر الستين، يستأنف تلاوة دعاء، كان قد تلاه سابقاً، حتى إذا بلغ ذكر «روح فلان البيت أباثر» يصل إلى الدعاء الخاص بالأسلاف «ابهاثان»؛ أي التضرع إلى الأسلاف، وينتهي الدعاء الأول بدعائين دون الرسم بالزيت، وهذه المراسم مهمة لدرجة أن «الكنز فره» يظل يتابع تلاوتها بقوله: «وقل قد قسمت ونزعت العلامات المثلثة....» ويرد «الشوليه» محترسا أن يكون صحيح الرد، فيقول: «قطعت وقسمت وابتلعت جزاء من الـ (با) واقتطعت شيئاً من الفطيرة العليا، وشيئاً من الفطيرة السفلى» وبينما هو يكرر هذه العبارات يكسر قطعة من الفطيرة العليا وأخرى من الفطيرة السفلى من الكوم الذي أمامه، ويضع هاتين القطعتين إلى جانب «البهثه» بعد إزالة الإكليل منها، مضيفا إلى ذلك شريحة من لحم الحمامة، ثم يقوم بعد ذلك بالدعاء مادّاً كلتا يديه فوق أكوام الفطائر، والبهثة في يمينه،

ويتلو ثلاثة أدعية واضعا يده على لثامه، بعد ذلك يحل اللثام، ويغمس «البهثة» مع ما أضيف إليها في الخمرة، ويضعها في فيه، ثم يبتلعها بأجمعها، ويشرب بعد ذلك الخمرة، يناوله المساعد «كبثة» أخرى، وقنينة من الماء، كان قد وضعها خارج المندى في المدخل، عند بدء إجراء المراسم، يصب المرشح شيئا من هذا الماء في «الكبثة»، ويشربه، وعليه الآن أن يرفع صوته، ويتلو سبع صلوات، يدخل فيها اسم «الكنز فره» في محلاتها المناسبة؛ وبعد تلاوة هذه الصلوات السبع يمدّ يديه فوق «الطبوثة»، ويتلو تسعة أدعية، وبعد ذلك يجلس، ويتلو دعاء «طاب طابه الطابي»، وهذا الدعاء مرتبط دائماً بطقوس تناول الطعام، بعد ذلك يتلو أربعة عشر دعاءً، يأتي بعدها دعاء «طاب طابه الطابي»، الذي يخص «سام بن نوح»؛ أي «طاب طابه الطابي واترس كينانه الرهمى». ينهض بعد ذلك ويتلو دعائين»[١٥]، وأخيراً يعطي يده اليمنى للمساعد من العهد (كشطه)، ويقول: (اسيخ قهيخ) الكبير (رفتى)، ثم دعاء (طاب طابه الطابي) مرة أخرى. ويأتي المساعد من البركة، ويقوم بقراءة دعائين هما:

١ ـ اتملون هي. أي (ادعو للحي).

٢ ـ طاب طابه الطابي، (دعاء الأسلاف).

ثم يرمي الماء على صولجانه، ويعيد تلاوة بعض الأدعية

(١٥) الصابئة المندائيون: ٢٣٧.

الأخرى، بعد ذلك يتفقد المساعد ملابس (الشولية)؛ ليتأكد من مكان كل قطعة، ويناوله الكاهن الجديد (الكشطة)، ثم يأخذ بالدعاء متحللاً من ملابسه وتاجه، وتنتهي بذلك مراسم التكريس، أما الدرجة الأعلى من الترميذة، فهي:

٣ ـ الكنز فره:

ينتقل الترميذه إلى درجة (الكنز فره)، ويشترط في ذلك أن يكون فاضلا قديراً في أمور الدين، مطلعا على التفاسير، والشروح الدينية، وحافظا لكتاب (الكنزا)، وأن يكون متزوجا وغير عقيم، وسبق له أن عقد مهرا لـ (ترميذه، ويجب عليه إقامة عريشين من القصب والطين، وسعف النخل النظيف[١٦]، ويكون بالقرب من ماء جار عند (المندي)، فيمضي ليلته الأولى في العريش الأول، مسهدّا طوال الليل ومصليا، ثم يحرق هذا العريش، وينتقل إلى العريش الثاني، حيث يوجد اثنان من (الكنز فره) واثنان من درجته (ترميده) مع شاهدين (اشكنده)، فتتم رسوم انتقاله إلى الدرجة الجديدة (كنز فره)؛ أي مفسر كتاب (الكنزا). وأصحاب هذه الدرجة لا يتعدون الخمسة في هذه الأيام.

٤ ـ ريش أمه:

أي رئيس الأمة، وصاحب الكلمة النافذة فيها. ويشترط

(١٦) تسمي (اشختا).

في (الكنز فره) الذي يريد الارتقاء إلى درجة (ريش أمه) أن يكون عالما كبيرا، وذا أهلية وكفاءة ممتازتين، وقادراً إلى محاكمة الأمور بشكل مشهود من العلماء، (ولا يوجد بين صابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة، لأنها تحتاج إلى علم وفير، وقدرة فائقة[١٧].

٥ ـ الربانـــي:

(وهي أعلى مراتب الاجتهاد، ولم ينل هذه المرتبة من السابقين غير النبي يحيى بن زكريا عليه السلام)[١٨]. (كما أنه لا يجوز أن يوجد شخصان من هذه الدرجة في وقت واحد. والرباني يرتفع ليسكن في عالم الأنوار، وينزل ليبلغ طائفتة تعاليم الدين، ثم يرتفع كرة أخرى إلى عالمه الرباني النوراني)[١٩] يقول الصابئة: (إن يحيى لم يكن رسولاً، بل نبياً خاصا بهم)[٢٠].

المعبد عند الصابئة ـ المندى:

المندى هو المكان الذي يتعبد فيه الصابئة، وهناك

(١٧) موسوعة العقائد: ٣١٩.
(١٨) مجلة العربي العدد ١١٢، سنة، ١٩٦٨ ص ١٥١.
(١٩) موسوعة العقائد: ٣١٩.
(٢٠) الصابئون: ١٠٣.

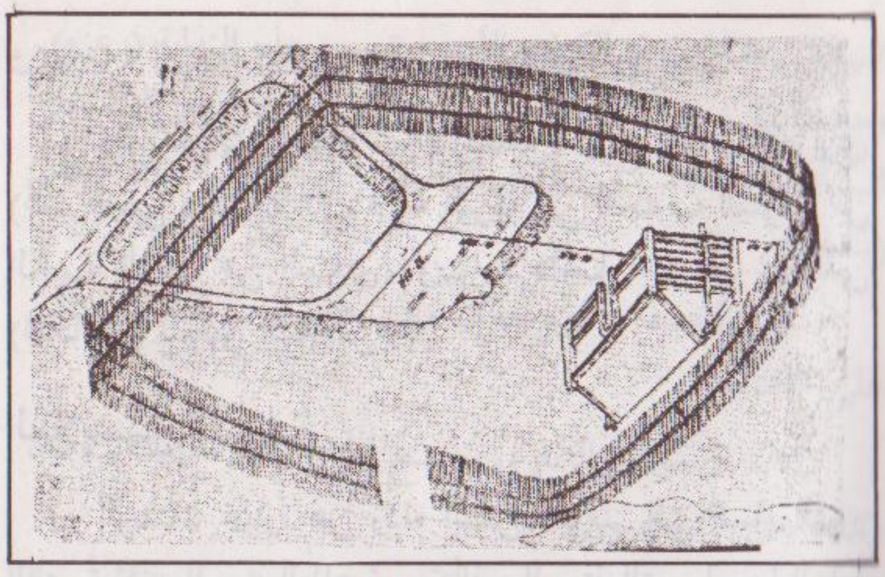

المندى وبركة الماء

قواعد محددة يجب تحقيقها عند بنائه، من ناحية الشكل، والمواد المستعملة في البناء، فالمندى يأخذ شكل جمالون، ويبنى من القصب والطين، ويجب اتصاله بقناة ماء جارٍ للطهارة، فالموادّ وتركيبها، ونسبها، وشكل المندى، موصوفة كتابه، ومعروفة شفاها عند الصابئة، وتوضع في المندى الكتب المقدسة، ويُجرىٰ فيه تعميد رجال الدين، ويقام المندى على الضفاف اليمنى من الأنهر الجارية، وله باب واحد يواجه اتجاه الجنوب، فإذا دخل الصابئي إليه، فإنه يستقبل الشمال حيث نجم القطب، ولا يسمح للنساء بدخول المندى. ويقول الصابئة: «كان المندى قبل يحيى يشبه بيتا من بللور، ولكن حين طرد الصابئون من القدس، كان عليهم أن يتخذوا له

شكلا من أشكال البناء، مما يمكن إقامته بسهولة»[٢١].

وفي أوقات احتفالات الارتماس، يرفع العلم الحريري (علم يحيى درفشه) على ضفة البركة إلى الجنوب الشرقي من الجهة اليمنى من المندى، ويوجد داخل المندى علاقتين (شكاصه) لتعليق الملابس.

الملابس الدينية:

الرستة: عبارة عن رداء أبيض، يرمز إلى كساء النور الذي ترتديه الروح الطاهرة، وتتألف الرستة التي يلبسها العامة من سبع قطع. أما التي يلبسها الكاهن فمن تسع قطع هي:

١ ـ القميص ويسمى (كسويا)، أو (سدرة) من القطن الأبيض.

٢ ـ الدشة أو (دشا)، وهي عبارة عن قطعة من قماش القميص نفسه، تخاط من الخارج أعلى الناحية اليمنى من فتحة الصدر.

٣ ـ الشروال.

٤ ـ التكه: وهي الخيط الذي يشد السروال إلى البطن.

٥ ـ برزنكا، (العمامة)، وتتألف من قطعة من الموصلين الأبيض، وتلف ثلاث لفات حول الرأس، وتترك إحدى

(٢١) الصابئة المندائيون ص ١٩٩.

النهايتين مدلاة فوق الكتف الأيسر وتسمى هذه النهاية (رغزه). وحينما تلف حول الحنك وتغطي الأنف، ثم ترفع إلى أعلى الرأس، وتدس في الجهة اليمنى من العمامة، تسمى (بندامة).

٦ ـ النصيفة (القبوعة): وهي قطعة من الخام، تلقى على الكتفين.

٧ ـ الهميانة (الزنار)، تنسج من (٦٠) خيطاً صوفيّاً، وتلف حول الخاصرتين.

٨ ـ التاغة (التاج): حلقة مجوفة من الحرير الأبيض أو القطن، ولا يستعملها إلا الكاهن، . . .

٩ ـ شوم ياور: حلقة من الذهب، تلبس في خنصر اليد اليمنى، مكتوب عليها (شوم ياور زيوا)، ويستعملها الكهان فقط.

العبادات الصابئية

الطهـــارة:

لا تصح العبادات عنـد الصابئـة المندائيين بـدون طهارة (رشامة)، والطهارة فرض على كل صابئي وصابئيـة. فالجنـابة مبطلة للعبادات، والغسل يكون بالماء الجاري غير المنقطع عن مجراه الطبيعي. ويكون ذلك بـالارتماس ثـلاث مرات بعـد نية الطهارة.

الصـــلاة:

لا تصح الصلاة بدون وضوء، ويكون الوضوء على النحو التالي: يتقدم الصابئي من النهر ويقول «ابرخ يردنه ربه ادميه هي «وتعني أبارك اليردنة العظمى الماء الحي)، و«بشميهون أدهيى ربي اسوثه وزكوثه نهفيلخ يا أب أبو هن ملكا برياويس يردنه ربه إدميه هي (باسم الحياة العظمى لك الشفاء والطهر بأبي وأباهم ملكاً برياويز، اليردنة العظمى للماء الحي). وهنا يجب أن يشد

حزامه (هيمانة)، قبل أن يقترب من الماء، ثم يغسل يديه قائلا: «بشميهون ادهيى ري هللنين ايدن بكشطه واسفن، بهيمنوتا مللنين ابملاله اد زيوه وشرى طبن بصرى دنهوره (باسم الحياة العظمى أطهر يديَّ بالصلاح، وشفتي بالإيمان؛ لينطقا كلام النور، وليجعل وضوئي حسنا بأفكار النور)، ويغسل وجهه ثلاث مرات، ويأخذ بيديه قائلا: «ابرخ، اشمخ، مشبه اشمخ، ماري منداد هي، ابرخ مشبه هاخ برصوفه ربه ديقاره اد من تافشي افرش» (ابارك اسمك، وامسح اسمك يا مولاي منداد هيى، حمدا لسماء الجلال الأعظم الذي قام من ذاته)، ثم يأخذ بيده الماء، ويجمع أصابع يده اليمنى، ويمررها على جبهته، من بداية صدغه الأيمن حتى نهاية صدغه الأيسر، ويقول: «إن فلان بربلانيثا رشمنا بروشمه ادهيى اشم ادهيى واشم اد منداد هيى مدخر إلى» (أنا فلان بن فلانه (يذكر ملواشته) [1] ارسم نفسي برسم الحياة اسم «الحياة» واسم منداد هيى منطوق عليّ). ثم يغمس سبابتيه ثلاث مرات في الماء، ثم ينظف أذنيه قائلاً «أدنى شمن قال دهيى» (لتسمع أذناي صوت الحياة)، ثم يستنشق الماء ثلاث من راحته، مردداً في كل مرة «نهيري اره ريهة ادهيى» (لتشم مناخيري رائحة الحياة). ثم يبدأ بغسل ركبتيه وساقيه قائلاً: (روشمه ايلاوي لهوه بنوره ولهوه بمشه ولهوه بمشيهه روشمي امش روشمى بيردنه ربه ادميه هيى اد انش ابهيلي لا مصى اشم ادهيى واشم اد منداد هيى

(١) ملواشه: الاسم الديني.

مدخر إلى» (ليست علامتي هي النار[٢]، ولاهي الزيت[٣]، وليست هي المسح[٤] إن علامتي هي «اليردنة»[٥] العظمى الماء الحي الذي لا يستطيع الانسان ان يحصل عليه بقوته وحده، ان اسم «الحياة» واسم «منداد هيى» منطوقان عليّ). ثم يتمضمض الصابئي ثلاث مرات بيده اليمنى قائلا «بمى بوثه تشبيه تمله (ليمتلىء فمي بدعوات التسبيح) ويلفظ الماء إلى الجهة اليسرى، ثم يغسل ركبتيه ثلاث مرات قائلا: «بركي اد مبريخا وساغدي الهيى ربى» (لتبارك ركبَتايَ الحياةُ العظمى ولتسجد له). ويغسل بعد ذلك ساقيه ثلاث مرات قائلا (لغرى ادمدريخا دركى كشطه وهيمنوثه»، (لتتبع ساقاي سبل الحق والايمان). ويغمس اصابعه في النهر ويداه ممدودتان معا وراحتاه نحو الأرض «قائلا» أنا بلان بربلا ثيثا (الملواشه) صبينا ابمصبته اد بهرام ربه برورىى مصبتي تناطري وتسق لريش اشم ادهى واشم دا منداد هيى مدخر إلي» (أنا فلان بن فلانه عمدت نفسي بعماد بهرام الكبير بن القدرة، وعمادي سيحرسني ويرفعني إلى الأعلى، إلى البدء ـ أي أوج

(٢) النار: إشارة للديانة المجوسية.

(٣) مشه تعنى زيت أو موسى وأرجح أنها تعني موسى، وهي هنا إشارة للديانة اليهودية التي يكرهها الصابئة.

(٤) مشيهه تعني المسح، أو المسيح، ويقصد منها الديانة المسيحية.

(٥) اليردنة: في الأصل تعني نهر الأردن، حيث كان سيدنا يحيى يعمد أتباعه، ومع مرور الزمن أطلق الصابئة لفظ اليردنة على كل ما هو ماء جار.

الكمال بيت الحياة ـ اسم الحياة واسم منداد هيى منطوقان عليّ) واخيراً يغمس قدمه اليمنى في النهر مرتين، واليسرى مرة واحدة قائلا (لغرى وايد يهون ادشفه واترسر لا تتشلط إلى اشم ادهيى واشم اد منداد هيى مدخرا ليّ» (لتبتعد عن قدماي ويدي سلطه السبعة ـ كواكب ـ والاثني عشر ـ علامات البروج ـ اسم الحياة واسم منداد هيى منطوق عليّ).

ومما يفسد الوضوء: البول والغائط، وخروج الريح، ولمس الحائض، والنفساء، وأكل شيء ما قبل الصلاة، ولا يجوز الجمع بين صلاتين بوضوء واحد، وان لم يفسد الوضوء، ونلاحظ أن الوضوء عند الصابئة قريب من الوضوء عند المسلمين.

الصلاة:

الصلاة فرض مكتوب على الصابئة المندائية يؤدونها في اليوم ثلاث مرات، وتقتصر صلاتهم على الوقوف، والركوع والجلوس على الأرض من دون سجود، وتستغرق تلاوة الاذكار فيها ساعة وربع الساعة تقريبا، وتؤدي قبل طلوع الشمس، وعند زوالها، وقبيل غروبها، وتفضل الصلاة جماعة أيام الآحاد، وفي الأعياد. ويتوجه المصلي نحو الشمال (إلى الجدي)، بلباسه الطاهر حافي القدمين، رافعا يديه، مع انحناء قليل، ويتلو سبع أذكار، يمجد فيها الخالق، ويدعوه بأسمائه الحسنى، ويقول المندائيون: إن الصلاة كانت في عهد آدم سبع صلوات، وهي:

الصبح والظهر والعصر والمساء والعشاء، وصلاتين فيما بينها، إلا أنّ النبي يحيى خفف عنهم الصلوات وجعلها في ثلاث أوقات. ويحفظ الصابئة عن سيدنا يحيى قوله: (أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً، وان مثل ذلك كمثل من اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب، فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك، وأن الله خلقكم ورزقكم، فاعبدوه ولا تشركون به شيئاً. وقوله: (آمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه قبل عبده، ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا)[٦].

الصيام:

قال النبي يحيى، (وآمركم بالصيام؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صُرّة من مسك في عصابة، كلهم يجد ريحا، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)[٧]، وهذا يؤكد أن الصيام كان مفروضا على الصابئة المندائية. ويؤكد ابن النديم فرض الصيام على الصابئة فيقول: «والمفترض عليهم الصيام ثلاثون يوما، أوّلها لثمانٍ مضين من اجتماع آذار، وتسعة أخر، أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول، وسبعة أيام أخر، أولها لثمان مضين من شباط»[٨]. أما اليوم، فإن الصابئة يصومون، بالامتناع عن

(٦) مجلة التراث الشعبي، العددان ٦ ـ ٧ السنة الخامسة ١٩٧٤ ص ٦٤.
(٧) المرجع نفسه: ٦٤.
(٨) الفهرست: ٣١٩.

أكل اللحوم المباحة لهم ٣٣ يوما، متفرقة بأيامها على طول السنة، ويسمون هذه الأيام الـ «مبطلات» حيث يبطل فيها النحر)[٩].

جدول بالأيام التي يحرم فيها الذبح

(مبطلة)

الشهـر	اليـوم
١ ـ شباط (شهر العيد الكبير)	من ١ إلى ١٤ و٢٢
٢ ـ آذار	٢٥
٣ ـ نيسان	.....
٤ ـ أيار	١، ٢، ٣، ٤
٥ ـ سيوان	.....
٦ ـ تموز	٩، ١٥، ٢٣
٧ ـ آب	.....
٨ ـ ايلول (شهر البنجه)	٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠ (الأيام الخمسة التي سبق البنجه)
٩ ـ تشرين	١ (بعد البنجه مباشرة)
١٠ ـ شروان	.....
١١ ـ كانون	٢(اليوم الأول منه عيد دهفه دِمانه)
١٢ ـ طابيث	٢٨، ٢٩ كنشبي وزهلى في البوم الثلاثين منه)

(٩) الصابئون: ١٠٩.

التعميد (مصبته):

التعميد هو الطقس الأول والأهم في شعائر الصابئين المندائيين، فالماء (لا يعتبر رمزا «للحياة» فحسب، بل إلى درجة معينة. الحياة نفسها، فالماء يحتوي على سائل قادر، لا على إخصاب الأرض فقط، بل النساء أحيانا، يظهر في سيرة يحيى المعمدان: «لقد أعطى انش أثرا، انشبي ماء من «اليردنة» لتشرب، ومن ذلك أصبحت حاملا» و«زكريا وانشبي كانا شيخين، وحدث أن شربت ماء وأصبحت حاملا من ذلك الماء» والماء الذي يعكس النور يُعدّ شكلا من أشكال النور، فالشخص المتعمد حديثا يُعدّ «مرتديا حلة النور» «إن ماء هذا العالم يقسم إلى تسعة مثاقيل ثمانية منها ماء أرضي، وواحد هو ماء الحياة؛ لتقوية جسم الإنسان» إن طقوس الاغتسال بالماء التي تقام مع إجراءات وصلوات معينة، هي احتفال ديني، تجلب جميع خواص هذا الماء السماوي، وتضعها موضع التطبيق، وتجعل متناوله قادراً على الاستفادة منه)[١٠]، وللتعميد ثلاثة أنواع:

١ ـ الرشامة (الوضوء) وقد مر معنا.

٢ ـ الطماشة: هي الطهارة في الماء الجاري ثلاث دفعات متتالية دون الاستعانة بأحد، وهذه الطهارة واجبة على

(١٠) الصابئة المندائيون: ١٦٨.

الحائض والنفساء، أو من لمس جثة الميت، وبعد المضاجعة والاحتلام، أو بعد أية نجاسة كانت، أو اتصال بشخص نجس، وتتوجب الطهارة على المرأة بعد الولادة.

٣ ـ المصبتة (التعميد الكامل): ويقوم بإجراء هذا التعميد الكاهن في يوم أحد، إثر نجاسات كبرى (الزواج، الولادة، التماس مع الميت)، وبعض خطايا أخرى كالكذب والنميمة، وبعد عراك حاد، وبعد أي عمل يخجل المرء من إتيانه، والخطايا الكبيرة كالسرقة والقتل والزنا تتطلب أكثر من عماد واحد. والعماد ضروري حين الزواج والأعياد، ويكاد يكون العماد الطقس الأساسي في العقيدة الصابئية، والذي لا بد منه في أكثر المناسبات.

الصدقة (زدقة بريخه)[١١]

أمر النبي يحيى أتباعه بتقديم الصدقة، فأصبحت فرضا دينيا يقوم به الصابئة المندائيون. قال النبي يحيى: (وآمركم بالصدقة (زدقه) وإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فشدوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال «هل لكم أن افتدي نفسي منكم» فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه)[١٢]. وتتعدد الصدقة بتعدد المناسبات، وأهم

(١١) زدقة بريخه: أي الصدقة المباركة.

(١٢) التراث الشعبي: العددان ٦ ـ ٧ للسنة الخامسة ١٩٧٤ ص ٦٤.

هذه الصدقات هي:

١ ـ مسخثة الشوليه (المرشح للكهانة)[١٣].

٢ ـ مسخثه المندى: ويتطلب القيام بها ثلاث كهان، وثلاثة طواقم من «الطرابين» وفيها يدخل «الكنز فره» إلى المندى مع المساعد الذي يكرس أربع وعشرين فطيرة، ويجعلها في صفّين، وحين يلتحق به الكهان الثلاثة يكرس كل منهم (٢٤) فطيرة، ويضعهونها في صفين، صف باثنتي عشرة، وصف باثنتين، ثم يتبع ذلك «زدقة بريخه» مع الخمرة والأس.

٣ ـ مسخثه «الكنز فره» الجديد، ويقوم فيها«الكنز فره» المرشح بجميع المراسم، وتكريس الفطائر الست والستين، ويتبع ذلك «زدقة بريخه».

٤ ـ مسخثه شيتل، ويقوم بإجرائها ثلاثة كهان، أحدهم «كنز فره» وتقام للميت دون إكليل.

٥ ـ مسخثه زهرون رازه كسيه، وتُجرىٰ لمن يموت في أحد الأيام المبطلة[١٤].

(١٣) تحدثنا بالتفصيل حول هذا الموضوع عندما تحدثنا عن رجال الدين عند الصابئة.

(١٤) هناك أيام غير مباركة (مبطلة) عند الصابئة، كاليوم الثاني والعشرين من أول شهر بالسنة، واليوم الخامس والعشرين من الشهر التالي، والأيام الاربعة الأولى من شهر «تورا» (آيار)، وغيرها.

٦ ـ مسخثة آدم، وتقام لمن يموت في يوم من الأيام «المبطلة» الكبرى (في الأيام الخمسة التي تسبق «النبجة»[١٥]، وفي اليوم الذي يلي «دهفة ديمانة»، وفي اليوم السادس والسابع من السنة الجديدة. كما تقام على روح من يموت قتيلا، أو من يموت قبل إجراء المراسم الدينية، أو من يموت من عضة كلب، أو حيوان مفترس، أو حية، أو لسعة عقرب، أو نتيجة حادث، ويقوم بإجرائها سبعة كهان.

٧ ـ مسخثة ساما نديريل، ويقوم بإجرائها ثمانية كهان، على أن يكون أحدهم كنزه فره، وتقام لمن يموت على أثر سقوطه من نخلة، أو يموت محترقا، أو غريقا في نهر.

٨ ـ زدقة بريخه دقماش: تقام إذا مات أحد الزوجين بعد الأيام السبعة الأولى، دون أن يتناول طقوس التعميد اللازمة.

(١٥) عيد من أعياد الصابئين، وهي خمسة أيام كبيسة.

الزواج عند الصابئة

من الخطأ الفادح لدى الصابئة أن يبقى الصابئي أعزبا، بل إن الزواج فرض على من يستطيع القيام بواجبه. وليس للأعزب مكان في عالم النور (الجنة)، ولا جنة له في الدنيا. ويستطيع الرجل أن يتزوج ما شاء من النساء إن استطاع القيام بذلك ماديا ومعنوياً، مع أن الصابئة يفضلون الزواج بواحدة، ويقوم بإجراء رسم الزواج (الكنز فره)، وهو الذي يعقد للعذارى، والطلاق محرم إلا إن كان هناك سبب قاهر، كارتكاب الزوجة فاحشة، أو إهمالها واجبات الطهارة. وإذا أرادت المطلقة أو الأرملة، أو الثيب، الزواج، فإنها تجد صعوبة كبيرة في الحصول على من يقبلها زوجة له، وإذا حصل ذلك، فإن الذي يقوم بمراسم الزواج، كاهن خاص يسمى (ابيسق)؛ أي إنه لا يجوز أن يقوم بإجراء المراسم رجل الدين نفسه الذي يقوم بعمل ذلك للعذراء، بل أقل رتبة ومقاما. وعلى المطلقة والأرملة أن لا تتزوج إلا بعد أن تعتدّ لمدة ثلاثة أشهر، ويحرم على أولاد الثيب أن يصبحوا كهانا لثلاثة

أجيال قادمة، والمرأة الخاطئة لا تقتل عند الصابئة؛ لانهم يحرمون القتل، ولكنها تصبح محتقرة في مجتمعها.

وقد يهجر الصابئي زوجته لسبب ما، فلا يمكنها الزواج إلا بعد وفاة زوجها أما التي تتزوج من غير صابئي، فإنها تخرج من عقيدتها، وتصبح في عداد الكفرة، وكذلك إذا تزوج صابئي بأجنبية. والمحرمات من النساء عند الصابئة كما هي الحال عند المسلمين وهي: الأم، والبنت، والأخت، والعمة، والخالة، وبنات الأخ والأخت، وأم الزوجة والمرضعة، والأخت من الرضاعة، والربيبة (بنت الزوجة)، وبنات الابن والبنت، وما تناسل عنهن، والجمع بين أختين:

ويتم اختيار الزوجة، إما عن طريق التعارف خلال الحفلات أو الأعياد، أو الزيارات العائلية، والمناسبات الدينية، أوعن طريق الأهل، الذين يقومون بزيارة بيت الفتاة، وطلبها من أهلها، بعد أن يكون الشاب قد وافق على ذلك بعد مشاهدته للفتاة، واقتناعه بها زوجاً له، وغالبا ما يختار الشاب ابنة عمّه ومن ثم ابنة خاله.

والمهر غير محدد عند الصابئة، فالشاب يقدم ما يستطيع، إلا أن عليه أن يقدم لخطيبته ما تحتاج إليه من الملابس والحلي، وما زِنَتُه حُمُّصة من الزعفران، ومقداراً من الشنان (مادة من النبات تستخدم للتنظيف)، وقطعة نقد من الفضة، تقدم لأم الخطيبة، رمزاً لتعهدها الفتاة. وتسمى العملية (حق ربيثه)؛ أي حق (التربية).

ويتم خلال المراسم الدينية للخطبة ذكر (الملواثه)، (الاسم الفلكي) للشاب والفتاة، ويجري أول تعميد للخطيبين يوم الأحد، وقبل البدء بالتعميد، يتم التأكُّد من عذرية الخطيبة، فتقوم زوجة الكنز فره، وإحدى النساء الخبيرات بالتأكد من ذلك، فإذا كانت النتيجة إيجابية تمت عملية التعميد، وإلا فإنَّ الخطيب يُخيَّر في إتمامها أو إلغاء الخطبة. وتُجرىٰ عملية التعميد للعروس أولا، ثم للعريس، وبعد خروج العروسين من الماء عليهما أن يدورا حول (الطريانة)[1] والنار، متجهين من الجنوب إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشمال، ومن الشمال إلى الشرق، ثم يعودان إلى جنوب (الطريانة). وبعد انتهاء المعموديات يتبخر العروسان، ويرتدي كل من العروسين «رستة» جديدة، وتُهيأ للقسم الثاني من المراسم، ويُجرىٰ العماد الثاني في يوم الأحد التالي، ويقام كوخ الزواج (أنديرونا) في ساحة الدار، بينما يجتمع المحتفلون في الساحة الخارجية، يرقصون ويمرحون، ويعزفون على الآلات الموسيقية، ويشربون القهوة، ثم يصل (الكنز فره) يساعده كاهنان، يحملان الأدوات الضرورية، والأغذية الطقوسية، التي تستخدم في الاحتفال، ويتفقد (الكنز فره) ملابس العريس (الرستة) قطعة قطعة ليتأكد من أن «الهميانة»[2] قد عقدت بشكل صحيح، وأن كل قطعة من ملابسه بوضعه الصحيح، ثم يقوم

(١) وعاء طيني فوقه شعلة من النار مع البخور.

(٢) الهيمانة: زنار.

الكنز فره بإلباسه «السكين دولة»[٣]، واضعاً الحلقة الحديد في خنصره الأيمن، والسكين الحديد في زناره، وعلى العريس أن يلبس «السكين دوله» ليل نهار إلى يوم عماده وتطهره الثالث، الذي سيتم بعد سبعة أيام من دخوله على عروسه، وليس من الضروري أن يضعها في اصبعه دائماً، بل يضعها في جيبه، أو تحت وسادته، أو بجانب فراش عرسه، ثم يرسل «الكنز فره» أحد الكهان إلى العروس ليتفقد (الرسته)، وليسألها رسميا أمام الشهود ما إذا كانت راغبة بالزواج من العريس، ثم يقوم بوضع خاتمين في خنصرها، أحدهما ذو حجر أحمر في الخنصر الأيمن، والآخر ذو حجر أخضر في الخنصر الأيسر، ثم يصب الكاهن الماء على يديها من الإبريق، ويقدم لها اللوز والزبيب؛ لتأكل، وماء الإبريق لتشرب، وتقام بعد ذلك (الزدقة بريخه) حيث يتناول العريس والمحتفلون الطعام المقدس الذي هيَّأه الكهان، ويتألف من جوز وبصل وطرشانه ـ زبيب، ولوز، وسمك مشوي ـ وصا (رقاقة دقيقة من الخبز مستديرة كالخرز)، وملح، وقنينة مملوءة بالخمر (همره)[٤]. ويجب على «الكنزفره» تحضير هذا الخمر في اليوم

(٣) السكين دولة: سكين من حديد، تصلها سلسلة حديدية بختم عليها نقوش حيوانات وزواحف وحشرات، يعتقد الصابئة بأنها شعار دولتهم التي كانت فيما مضى ثم زالت.

(٤) الخمر: (همرة) يتألف من الماء والزبيب والتمر بعد خلطها وطحنها، فينتج سائل بني يسمى (همره).

نفسه وإلا أصبح فاسداً)[٥]، ويقوم «الكنز فره» بتوزيع الصا إلى قسمين بين العريس والعروس، بعد أن يضع فيهما قليلا من كل نوع من أنواع الطعام المقدس، ثم يقوم «الكنز فره» بصب الماء على يد العروس، ويقدم لها (الصا)، ويقول لها: «هٰذه المرة بدور العريس» «كلي هذا، ولا تأكلي إلا مني»؛ أي إن عريسها من الآن فصاعداً هو المسؤول الوحيد عنها، وأنه يطلب إخلاصها. ويوزع بعد ذلك الطعام على الحضور، وما تبقى من الطعام يلقى بالنهر.

وتتم مراسم الزواج بقراءة الأدعية، والعهد بين والد العروس والعريس، وإقامة الصلوات وإلباسها إكليلا، وشربها الخمر سبع مرات. ثم يقوم الزوج بمعاهدة «الكنز فره» بالحفاظ على عروسه، وتمسكه بالعقيدة الصحيحة، وتربية أولاده على ذلك، وأخيراً يقوم «الكنز فره» بإمرار صولجانه (مركنه)[٦] فوق رأس العريس ثلاث مرات، (وبهذا أصبح غير طاهر وأرخى قبضته من الطيرشيل)، وانتهت بذلك مراسم الزواج، ولا يستطيع الزوج الاقتراب من زوجته إلّا في ساعة فلكية مناسبة، يكشفها (الكنز فره)، وبانتهاء الاحتفال يبقى العروسان في الانديرونا لمدة سبعة أيام يتعمدان بعدها، ويجب أن تقام (زدقة بريخة) باسم الزوجين بعد عمادهما.

(٥) الصابئة المندائيون: ١٢٨.

(٦) المركنة: صولجان، عصا من خشب الزيتون.

الـــولادة:

المحافظة على النسل فرض ديني عند الصابئة، والذي لا يتزوج يرتكب خطيئة، تؤثر فيه في الحياة وما بعدها. ذلك أن الذي لا ينجب أولاداً لا يذهب إلى عالم النور، بل عليه بعد موته أن يمر بالمطهر (مطراثا)، ومن هناك يعود إلى عالم النور. وللطفل مكانه خاصة في العقيدة الصابئية فمنذ وجوده جنينا في رحم أمه، وفي شهره الخامس، ينزل الماء السماوي إلى جسمه، ويكون مشابها له، كما سيبعث في عالم النور، وحينما تقترب ساعة الولادة، فإنه يتوجب على المرأة ان تغتسل وأن لا تمس أحداً. وبعد ولادة الطفل فإنه يغسل بالماء والصابون، وتتم الإجراءات اللازمة للتخلص من الحبل السري، ثم يدفن في مكان بعيد عن البيت، أو يرمى بالنهر، ويدهن الطفل بزيت الزيتون والملح. أما الأم فإنها تغتسل بالماء من رأسها حتى أخمص قدميها، وتتلف جميع المواد التي استخدمت في الولادة من أقمشة وقطن وغير ذلك، وتستبدل الأم ملابسها، وتوضع حلقة (السكين دولة) في خنصرها الأيمن، وتدس السكين المتصلة بها بسلسلة في حزام المرأة، ويوقد مصباح لمدة ثلاثة أيام، (وتعاود المرأة الاغتسال الثلاثي[٧] في الأيام الثالث، والسابع، والعاشر، والخامس عشر، والعشرين، والثامن والعشرين بعد الولادة)، وتصبح المرأة على أثر الولادة معزولة (صورثة)، يجب تجنب مسّها والاتصال بها، يلقى إليها

(٧) الاغتسال الثلاثي: يغتسل بالارتماس ثلاث مرات في الماء.

الطعام إلقاء، وتتناوله في طبق معدني[٨]، يجب استبداله وتطهيره بعد كل ثلاثة أيام من الاستعمال. إن جميع ما تستعمله من أوان وأطباق يجب أن يعمد معها، حين يحين موعد تعميدها على يد كاهن، وتبقى المرأة الوالدة سبعة أيام في شبه دائرة من الحصى، يستبدل بعد ثلاثة أيام بحصى جديد، ثم يرفع بعد الاغتسال في اليوم السابع).

ويدشن الطفل كأحد أفراد المندائي، وذلك بأن يرش في اليوم الثالث من مولده، مسحوق ورق الآس الطري على سُرّة الطفل، ويقوم الكاهن بإجراء مراسم وضع (السكين دولة) فوق سُرّة الطفل، وهو يقول: (بشميهون ادهيى ربي اسوثه وزكوثه هشمته وزرسته ونطرته رابيته وشراره نهويله اديله فلان بربلنيثه أبهازن صورثه ورازه وابثاهيل اشم ادهيى واشم «منداد هيى مدخر...) ولا يجوز في هذه الحالة أن يمس الكاهن الطفل، وإنما يقرأ هذه الصيغة بدون مسّه، وترجمة هذا الدعاء (باسم الحياة العظمى، الصحة والطهارة، والختم، والحصانة، والسلامة، للروح والجسم، تكون لفلان بن فلان - يكون اسم المولود الفلكي قد استخرج بمساعدة الكاهن - بهذا الختم، وبسر ابثاهيل اسم الحياة، واسم مندا دهيى منطوق عليك)[٩].

(٨) ويجوز استعمال الأواني الفخارية أو الزجاجية.

(٩) الصابئة المندائية: ٩٦.

ويجب على الأم ووليدها أن يتعمدا في يوم الأحد بعد اليوم الثلاثين من الولادة، إذا كان المولود ذكراً، وبعد اليوم الثاني والثلاثين إذا كان المولود أنثى، وهذا الاغتسال الثالث الذي ينهي فترة العزلة. ولا يحق للزوج الاقتراب من زوجته إلا بعد التعميد. كذلك تفضل الأمهات تعميد مولودها في اليوم الثلاثين من الولادة؛ لأن الطفل الذي يموت قبل التعميد لا يذهب إلى عالم النور. وحين يراد تعميد الطفل فإن (الحلالي)[١٠] هو الذي يقوم بدور الأب للطفل، فيرتدي (الرستة)، ويبدأ الكاهن بتعميده (تعميد زهريته وهو الذي يدخل الفرد ضمن مجموعة المندائيين، يساعده قندلفت (شكنده)، فيتلو الكاهن (الرهمى)[١١]، باسم الطفل، وفي نهاية الدعاء يلبس الطفل (رستة) كاملة، وإكليلا من الآس (كليله)، ثم تجرىٰ عملية تعميد الطفل، وبعد ذلك يؤخذ الطفل حيث يوجد خوان (طيني للبخور (طريانة) وينطق الأب بهذا الدعاء «اسوثة وزكوثة يا ملكي واثري ومشكنى ويردني وارهاطي واسخناثي اد المه دنهوره كليهون» ومعناها «لكم الصحة والمجد» ـ أو الطهارة ـ أيها الملائكة، وأيها الناس، وأيها المواطنون، ولكم المياه الجارية، والأنهار، وجميع ما في عالم النور»[١٢]. بعد ذلك يسلم الطفل إلى القندلفت

(١٠) أحد أبناء الصابئة، ذو طهارة طقسية معينة.
(١١) الدعاء اليومي لطلب الرحمة.
(١٢) الصابئة المندائيون: ٩٨.

(شكنده) ليعيده إلى والدته، التي ستجلس وإياه باتجاه الشمال، فوق جذع من النخيل، أو مقرفصة على قدميها.

وعلى الأم أن ترضع ابنها، ويحرم استئجار مرضعة لإرضاعه، كما لا يسمح للصابئة ببيع حليبها، وإلا فإن عقابا سيصيبها في الآخرة، وعلى الأب أن يتعهد ولده ويربيه تربية صالحة في مجالات الحياة، وخاصة الدينية منها، حتى يصبح صابئياً مندائياً نافعاً لنفسه ومجتمعه[١٣].

(١٣) تدخل العقيدة الصابئية في كل صغيرة وكبيرة في حياة الإنسان، فمن لبس اللباس، والاغتسال، والنظافة، وتناول الطعام، والحلال، والحرام، والمعاملات، والولادة، والحياة، والموت، والآخرة.

الموت عند الصابئة

يعتقد الصابئة أن الموت ارتحال وانتقال لـلأنفس، وفناء واندثار للأجسام، (للإنسان «بفره» جسم) وله روح ونفس (روهه ونشمته)، فالجسـد في عقيدتهم آلـه مسيَّرة منقـادة إلى رغبات الروح، وإطاعة النفس، فإذا مات الصابئي، فإن ما تحسب عليه هي نفسه فقط، أما الجسد، فإنه مكوَّن من مادة أرضية سيـرتها الروح (الخلايا)، وعليه، فهي تعود إلى أصلها بعد الوفـاة، أما النفس التي لا يعلم كنهها إلا (هيى ربي قدمايى) (الحي الأزلي)، فإنها تنتقل إلى الحساب في جسم نوراني، لا يعلم كنهه أو مادته، إلا الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا فإن الصابئة يقولون: إن «ملكا رامه ادنهوره» (ملك عالم الأنوار) أمر جبرائيـل (هيبل زيـوا) أن يخلق آدم من طين (مـاء وتـراب)، ولكن على هيئتـه (هيئـة جبرائيل). وعلى هذا الأساس يقـوم حساب الفـرد الصابئي في آخرته على النفس الطاهرة التي وهبها الله لآدم، لا على الروح (الخلايا) التي تحرك الجسم، وتديـره حسب ما تهـواه الروح. وكثيراً ما يكون في تلك الرغبات مخالفات لما يريده الله تعالى،

فالله سبحانه وتعالى لا يريد من الإنسان أن يقتل، أو يـزني، أو يسرق، أو يكذب . . . ، وإن أية مخالفـة سوف تحـاسب عليها النفس حين توزن. وإذا مات الإنسان، فإن النفس تعود إلى عالمها الإلهي في جسم نوراني، لا يعرف أحد عنه شيئاً، ويسمى («بفره كسيه»؛ أي الجسم غير المنظور)[1].

والصابئة يعنون بالصابئي قبل وفاته؛ لتخرج روحه طاهرة. فحينما يشعر الصابئي أو أهله بدنو أجله بسبب مرضه، أو تقدمه في السن، يحضرون الماء من النهر، ويسخن إذا كان الجـو بارداً، وتخلع عنه ملابسه، ويغسل ثلاث مرات من رأسـه إلى أخمص قـدميه، ويـوضع المـريض فوق فـراش نظيف، مـواجهاً لنجم القطب، ويلبس ملابس جديدة مع عدم عقد الزنار، وحين يشعر الجالسون معه أنه يموت فعلا يسبلون يديه، ويـطبقون جفنيـه، ويضعون (الكليله) في مكانها تحت العمامة، وأوراقها الخضـر تتدلى فوق الصدغ الأيسر، ويثبتونها بخياطتها في العمامة؛ لئلا تتزحزح من مكانها، كذلك ترتب «الرسته»، وتوضع أقسامها، كلّ في مكانه، ويخاط عليها قطعتي ذهب أو فضة، وتغطى القدمان بطرفي الطبرشيل (النصيفة)[2]، فإذا عاش المريض، فلا يمكن استعمال «الرستة» إلا للأغراض الاعتيادية، ولا يمكن استعمالها لمحتضر آخر، وحين يُتوفى أي شخص يقوم المجتمعـون بعقد

(١) مجلة التراث الشعبي: العدد ١٢ السنة الخامسة ١٩٧٤ ص ١٧٨.
(٢) الصابئة المندائيون: ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

الزنار عقدة أخيرة، ويدس طرفاه إلى الجانبين، ولا يتم دفنه إلا بعد وقت للتحقق من الوفاة. ويقوم أربعة من الحـلالية (رجـال دين طـاهرين طقسيـا) بعملية الـدفن، فيقومـون بـإجـراء الـوضـوء (الرشامة)، ويرتدون ملابسهم الدينية، ويـدس رئيسهم (ريش) بحزام الميت سكينا من الحديد، لا قبضـة لها (سكين دولـه)، تتدلى من سلسلة متصلة في حلقة، يضعها الرئيس في خنصر يده اليمنى. وتُعمل حصيرة من البردي، تكفي للفّ الجنازة، ثم يعمل سطح من القصب والجريد، مثبت بحبال خوص، يشبه الكرسي، ويقف الجميـع متـوجهين نحـو نجم القـطب، ويتلو الكـاهن: (بشميهون دهيى ربى لوفه ورواهه اد هيى وشافق هطايي نهويله الهـازا نشمثه دبـلان بربـلا نيثا اد هـازا مسخثه وشـافق هـطايى نهويله)، وتعني (باسم الحياة العظمى، لوفه ـ مشاركة أو العشاء الرباني ـ ورواهـه ـ حرفيـا سبب التنفس ثانيـة؛ أي الانبعاث ـ وانبعاث الحياة، وغفـران الخطايـا تكون لـروح فلان بن فـلانة صاحب هذه المسخثه[3] لتغفر خطاياه)[4]، ثم يتقدم رجال الدين الأربعـة، (ويرفعـون الجسد السـاجي، ويضعونـه على حصيرة البـردي، ويلقونهـا عليه، ويشـدونهـا، ثم يـرفعـون الجنـازة، ويضعـونها على كـرسي القصب . . . ويرفعـونه على رؤوسهم ويخرجون به من محل وفاته، ويتخـطون (المندلثـا)[5] القصبية

(٣) المسخثة: غفران، قداس على روح الميت.
(٤) الصابئة المندائيون: ٢٦٣.
(٥) المندلثا: عبارة عن حفرة بيضوية الشكل، حوالي المتر، تحفر بالمعول،

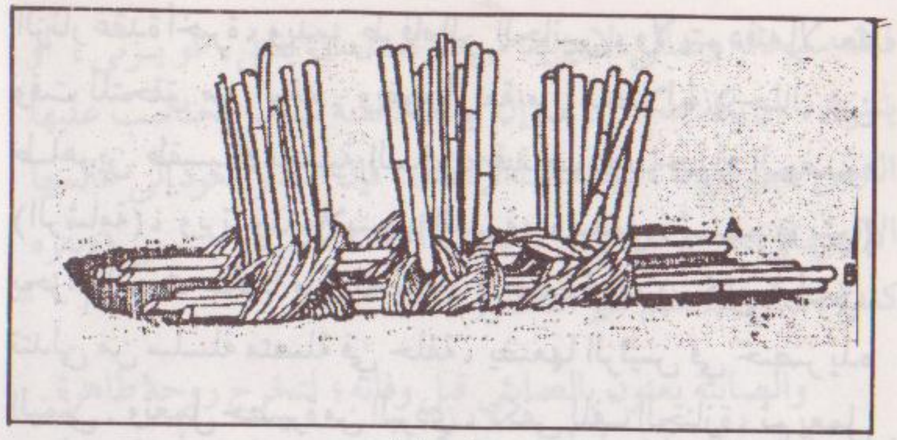

المندلتا

التي ترمز إلى حد الإنسان من هذه الدنيا[٦]. وحالما يفعلون ذلك يتوقفون، ويعود الرئيس فينحني على (المندلثا)، ويملط أعمدتها بالطين، ثم يختمها بـ (السكين دولة)، وهو يتلو الأدعية، وتتقدم الجنازة متجهة نحو المقبرة، يتبعها الرجال فقط، وتكون المقبرة عادة خارج المدينة أو القرية، وعند الوصول إلى المقبرة يأخذ (الحلالي) معولاً، ويحفر ثلاث مرات في التربة، وهو يتلو الأدعية، ثم يتم الآخرون حفر القبر. ويفضل أن يكون عميقا قدر الإمكان، وتحفر به حفرة إضافية خلف الرأس، تترك خالية تُدعى (لحدا)، بعد ذلك توضع الجثة في القبر، متجهة دائما نحو

ويكون عمقها أكثر بقليل من طول اليد، توضع فيها كمية غير مربوطه من القصب بشكل عامودي، ثم توضع ثلاث قصبات على الأرض أمام الحزمة القائمة من القصب، وثلاث خلفها.

(٦) التراث الشعبي: العدد الثاني عشر السنة الخامسة ١٩٧٤ ص ١٨١.

الشمال، ويوضع فوق (رستة) الميت بعض الأحجار، ويوضع حجر صغير على فمه، بعد ذلك يقوم (الحلالي)، وهو متجه نحو الشمال، بإهالة التراب على الجثة ثلاث مرات بوساطة معول، وهو يردد (باسم الحياة العظمى لتكن «لوفة» و«رواهة» الحياة غفران الخطايا من نصيب فلان بن فلان صاحب هذه المسخثه، ولتغفر لي خطاياي)، ويقوم المجتمعون بملء الحفرة بالتراب، إلى أن يصبح القبر على شكل رابية صغيرة، ثم ينحني الحلالي، ويبل القبر من جوانبه الأربعة، ويختم الطين بالسكين دولة، مبتدئاً من الرأس، ويعود بعد ثلاثة أيام ليزيل الأختام، وبعد الانتهاء من مراسم الدفن يبدأ اللوفاني (وجبة طعام على روح الميت) حيث تقرأ الدعوات، ليغفر الله ذنوب الميت، ويدخله عالم النور. من ذلك الدعاء التالي: (باسم الحياة، اسم منداد هي منطوق عليك أيها الطعام السليم (طابثة) ادن من صلاح الحياة، ومن الأشياء الخيرة، لقد قال منداد هيى الذي نطق باسم الحياة «طاب طابا الطابى» ـ دعاء يعني أن الخير والصلاح للصالحين ـ وستثبت أسماء أولئك الذين سيذكرون أسماء الموتى نبحث، ونجد، ونتكلم، ونستمع، وقد بحثنا، فوجدنا، وتكلمنا، واستمعنا بحضورك يا سيدي منذا هيى، رب الشفاء، اغفر له (الميت) خطاياه، وزلاته، وعثراته، ونقائصه، وأغلاطه، واغفر لأولئك الذين هيَّأوا هذا الخبر، وهذه (المسخثه)، وهذا الطعام السليم، اغفر لهم خطاياهم، وزلاتهم، وعثراتهم، وأغلاطهم يا سيدي منداد هيى، ويا أيَّتها الحياة العظمى الأولى، اغفروا أيضاً للذين

أعطوا الصدقات، وعملوا الصالحات، لهم، ولأزواجهم، ولأولادهم، ولكهنتهم، واغفروا خطايا فلان بن فلانة، صاحب هذه المسخته)، واغفر خطاياي، وخطايا أبي، وأمي، ومعلمي، وزوجاتي، وأولادي، وكهنتي، واغفر لأولئك الذين هيأوا هذا الخبز، وهذا الطعام مانح الحياة (طبوثة)[٧]، وأنتم يا أجدادي، ومعلميَّ، ومؤدبيّ وأساتذتي، لتنقلوا من اليسار إلى اليمين، ستقولون: (قامت الحياة في موطنها)، حمداً للحياة، والنصر لها، على جميع مخلوقاتها)[٨].

وهذه الولائم نراها منتشرة في الأديان الأخرى كالإسلام والمسيحية ـ وتظل القراءة في الكتب المقدسة وبخاصة (الكنزه) مستمرة ليلاً ونهاراً، من قبل كاهن، حتى صباح اليوم الثالث، بعد الوفاة. وفي اليوم الخامس والأربعين يتناول الصابئون «اللوفاني»[٩]، ويقرأون الأدعية لطلب المغفرة لنفس المتوفى.

الآخرة (عالم النور) عند الصابئة:

حين تقترب منية الإنسان يأتي ملك الموت (صاورييل أي عزرائيل)، إلا أن (قمامير زيوا) يهبط ليساعد الروح، وليدافع عنها ضد الأخطار، وفي اليوم الثالث (تغادر الروح الجسد نهائياً،

(٧) طبوثة: نعمة الطعام.
(٨) الصابئة المندائيون: ٢١٨.
(٩) وجبة طعام على روح الميت.

وتكون حالتها كمن يغط في نوم عميق، ولا تعود إلى الوعي إلا تدريجياً، فهي ثقيلة لا تُرى، وفجأة تتحرر ذاتها من هذا الثقل، وتبصر (صاورييل)، و(قمامير زيوا)[١٠] بانتظارها، وعند مفارقتها الجسد تكون على شكل شخص يرتدي ملابس، إلا أنها من هواء، وليست حقيقة، فإذا كان المتوفى من فاعلي الشَّر تكون ملابسه سوداء اللون، فإن سأل عن السبب أجابه الملكان: (أليست هنالك كتب مقدسة، منحت للإنسان منذ أيام آدم؟ ألم تر إلى الشمس والقمر والنجوم؟ ووهبت عقلاً فهلا سألت: أمن صنع الله هو أم من صنع الإنسان؟ وتقول الروح: (يا ليتني أُعِدْت إلى جسدي، لأكون صالحاً خيِّراً لا أفعل إلا حسنة). ويجيبه الملكان: لا مفر لك، فمَنْ من الموتى عاد؟، بعد ذلك تذهب الروح إلى «ابثاهيل» وتقاد إلى مقرها في المطهر[١١]، وتستقبل الروح على بوابة المطهر بوجبة خفيفة، تتناسب والطعام الطقسي الذي أُكِل باسمها على الأرض، فتعرف الروح أنّ ذويها قد ذكروها، وتستغرق الرحلة خلال المطهر خمسة وأربعين يوما. وإذا كانت الروح طاهرة فأربعين يوما، وتصل الروح بعد ذلك إلى موازين (إباثر)، حيث توضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة الميزان الأخرى، (فإذا رجحت كفة السيئات أو تساوت الكفتان،

(١٠) (صاورييل): روح ظلامية، (وقمامير زيوا) روح نورانية، وهما مثل منكر ونكير ملكا الموت عند المسلمين، وكبريل وعزرائيل عند اليهود.
(١١) الصابئة المندائيون: ٢٨٠.

بقيت الروح في المطهر؛ لنيل طهارة وعقوبة، تتناسبان وخطيئتها. فإذا كانت روحاً مشاغبة، فستذهب إلى «مطارثة نيرغ» - مارس - وإن كانت مختالة فخورة، فستذهب إلى مطهر «بيل» - جوبيتر -، ويحتفظ بمطهرات خاصة للكهان، ويكون التطهير حسب الخطيئة، فتعذيب الشرير يتضمن العذاب بالنار والثلج، ويمشط بمشط من حديد، وتلدغه الحيات، وتنهشه السباع والذئاب والكلاب. فإذا كان على غاية الشر، يهبط إلى جوف «أور»[١٢] وهي نار مرة، وجليد مرة أخرى، حيث ينال التطهير النهائي عندما تقوم الساعة، وحينئذ تحمل الأرواح التي لا تزال تعاني التطهير إلى الأعلى بوساطة قوى النور والحياة، أو بوساطة «هبشبة»[١٣] نفسه، رحمة بهم، ثم يُغمرون بمياه «فرات زيوه» السماوية، اليردنة السماوية في معمودية شفاء كبرى نهائية. وإذا كانت الروح، روح شخص تقي، فلن يأخذ تطهيرها وقتاً طويلاً؛ إذ بعد توقف طويل، تعود إلى الموازين، وتوزن مقابل روح «شيتك» أتقى أرواح الكائنات البشرية. فإذا خفت كفة الروح عن كفة شيتك أُرسِلَت لإعادة تطهيرها، وإن لم يكن كذلك دخلت سفينة نور تبحر في نهر يحيط بعوالم الأنوار، حيث يُقيم ذووه الذين توفوا منذ أقدم الأزمان، وقد يكون مقامه النهائي في عالم «يوشامن

(١٢) عالم الظلام.
(١٣) هبشيه: تجسيد يوم الأحد.

زيوا»، أو «هيبل زيوا»[١٤] أو «سيمات هيى»، أو عوالم أرواح نورانية عظمى أخرى[١٥].

الوصية والميراث عند الصابئة:

حينما كنت في القرنة[١٦]، سألت صابئيا اسمه عبد الله سالم عن الإرث، فأجابني بأنه يشترط في الوارث أن يكون صابئيا، فإذا خرج عن عقيدته فَقَدَ الحقّ بالميراث. وغالباً ما يكون الابن الأكبر هو المسؤول عن العائلة بعد وفاة الوالد، وهو الذي يقوم بتقسيم الميراث، لكن المتبع عند الصابئة في تقسيم الارث بشكل عام هو نظام التشريع الإسلامي نفسه في هذا المجال. أما الوصية، فغير محرمة في العقيدة الصابئية، بشرط أن يكون الموصي قد أنفق من ماله على الفقراء والمحتاجين بدون مَنٍ أو أذى، أو نشر ذلك بين الناس إظهاراً لكرمه وافتخاراً بنفسه، ومن يفعل ذلك لا يحق له أن يوصي، كما يفقد جزاء عمله وإنفاقه.

الخليقة والكون في رأي الصابئة:

حين التحدث عن الصابئة يحلو للكثيرين محاولة

(١٤) هيبل زيوا: الروح المعلم للأرض.
(١٥) الصابئة المندائيون: ٢٨٢.
(١٦) القرنة: الموضع الذي يلتقي به دجلة بالفرات، وبها بعض الصابئة.

الظهور بالعالم الفاهم العارف ببواطن الأمور وظواهرها، وكأنهم واضعوا تلك العقيدة ومؤسسوها، فيبدأون الحديث عن عبادة النجوم والكواكب، وما لها من مكانة إلهية عند الصابئة. فهل لهذا الحديث أصل في الحقيقة أو الموضوعية؟ حين تجولت بين الصابئين في أماكن تجمعهم في عدة مناطق كالناصرية، والعمارة، والبصرة، وسوق الصاغة في بغداد، وغيرها، تبين لي أن الصابئة المندائية يؤمنون بإله واحد قادر، لا أول له ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، وهو الخالق والصانع، والحي والباقي، الذي لا يموت، وهو نور السماوات والأرض، ونوره يعم الكون، وجميع المخلوقات في الدنيا والآخرة. ولولا نوره الذي يبدد الظلام، لما كان هناك وجود كوني ولا وجود إنساني، ولهذا يصبوا الصابئة، ويتعبَّدون ليلاً ونهاراً، ويتقربون إلى الله بالعمل الصالح، وبملائكته، وبالأنبياء، وبمبدعاته المدهشة في السماء، حتى ينالوا الوصول إلى الجنة (عالم النور) المنورة بنور الله تعالى، وليس هذا التقرب بعيداً عن العقل والمنطق، فكل أصحاب الديانات السماوية، وغير السماوية، يتقربون إلى الله بالذي يعتقدون بأنه يقربهم من الله، ولينظر كل منا في عقيدته ليتأكد من ذلك. فهناك من يتقرب بالرسل والملائكة والكتب المقدسة، وهناك من يتقرب بالتعاويذ وأصحاب الطرق الصوفية، أو العارفين والواصلين، أو المتحدين بالذات

الإلهية، ومنهم من يتقرب إلى الله بالأنصاب والأزلام والأحجار والأخشاب فأصبحت من القدسية والإجلال ما يساوي القدسية الإلهية، بل أصبح المساس بها كفرا وخروجاً عن العقيدة، لا يساويه المساس بالذات الإلهية، إذاً هي اجتهادات في التقرب إلى الله، والكل على حق وصواب إلا الصابئة، فإذا تقربوا إلى الله بشمسه ونجومه وملائكته، أصبحوا عبدة النجوم والكواكب والملائكة، فكيف ينظر الصابئة لهذا الكون وخالقه.

يتحدث كتاب (كنزه ربه) عن تكوين العالم أكثر من سبع مرات، فالله يُسمّى ملك النور «ملكة دنهور» ورب العظمة (مار ادربوثا)، والروح العظمى (مانة ربه)[١٧]، وملك يخلق الماء، ومن الماء النور، ومن النور الضياء، ومن الضياء الأرواح (أثري)، ووظيفتها السيطرة على الظواهر الطبيعية[١٨].

وفي عملية التكوين يوجد مساعدون مثل (هيبل

(١٧) مانه: العقل أو الفكر مصدر الروح.

(١٨) ومنه يتبين لنا أن الماء كان أساس الحياة، فمنه كانت المخلوقات، وهذا يتناسب وعقيدة المسلمين فقد جاء في القرآن الكريم ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾.

زيوا)[١٩] و(أباثر)[٢٠] و(أباثيل)[٢١]، وتختلف أدوارهم. ومع امتداد الزمن، والبعد بين منبع العقيدة، التي جاء بها النبي يحيى، وبين زمننا هذا، ظهرت عقائد واجتهادات في العقيدة الصابئية المندائية، منها ما يُقره العقل، ومنها ما لا يقبله، وهذا ما صرح لي به أحد المثقفين[٢٢] من أبناء الصابئة، حين قال لي: إن كثيراً من المعتقدات، التي يؤمن بها عامة الصابئة، لا وجود لها بالكتب المقدسة، وإنما هي تقاليد وخرافات، انتقلت من جيل إلى جيل آخر حتى أصبحت عقيدة يعتقدها الصابئة، وهي بعيدة عن أصل العقيدة، وقال لي إن هذا الأمر موجود في أكثر الديانات، فيعتقد معتنقوها بأمور بعيدة عن اصل العقيدة، وهي عقيدة متأخرة زمنيا عن عقيدة الصابئة (فكيف بعقيدتنا، وهي الأقدم والأكثر قوقعة من غيرها)، لذلك نرى بعض الصابئة يؤمنون بأنه يلي الإله في المنزلة (٣٦٠) شخص خلقوا ليصنعوا ما صنعه الله، إلا أنهم ليسوا قادرين على الصنع والخلق، إلا بأمر الله، فهم ليسوا

(١٩) هيبل زيوا: يعني (واهب النور).
(٢٠) أباثر: هنالك أباثرين، أحدهما (أباثر موازينا)؛ أي ملاك النجم، وهو الذي يتحكم بالموازين التي توزن بها الأرواح، الثاني هو (أباثر راما) وهو لقب (هيبل زيوا).
(٢١) ابثاهيل: ملاك كان عاصيا، ثم ندم وتاب، واستجاب لله.
(٢٢) هو: الصائغ خضر، الذي اجتمعت به في سوق الصاغة ببغداد عام ١٩٨٠.

آلهة كما أنهم ليسوا ملائكة، مع أنهم من نوعهم، وذلك لأنهم يمارسون عملية الخلق، مثل (هيبل زيوا)، الذي مرَّ ذكره، ويعتقد بعض الصابئة بأن الله ناداهم بأسمائهم فخلقوا، وتزوجوا بنساء من صنفهم، وأصبح لهم أولاد وبنات، ونسلهم هذا كان ثمرة لفظ الواحد منهم كلمة، فتحمل امرأته حالاً، وتلد مولوداً يماثلهم، وهؤلاء الـ (٣٦٠) المخلوق يعبدون الله، ويوحدونه.

وما تذكره كتب الصابئة يؤكد على وحدانية الله، فقد جاء من بحث للأديبة ناجيه المراني (الصابئية) في العدد التاسع من السنة الخامسة مجلة التراث الشعبي الصفحة ٢٤، نصاً لترتيلة من تراتيل العماد تقول:

باسم الحي
وباسم معرفة الحي
وباسم الوجود الأزلي الذي سبق الماء
وكان قبل الضوء والسنى
ذلك الذي نطق، فكانت كلمات
والكلمات كانت كروما
وكانت الحياة الأولى

وجاء في كتاب (كلاستا) من دعاء يذكر في أثناء التعميد:

(سعيت رافعاً عيني وذراعي إلى موطن الحياة والنور

والمجد، المكان الذي يهدي قاصديه، ويسمع محدثيه، ويجيب سائليه، يوماً يوماً وساعة ساعة، هذه الساعة أدعوك يا مولاي، دعوة مخلصة واسعة من أجل عبادك الراكعين ألى الأرض والرافعين أيديهم إليك، الهاجرين النابذين كل خيال، أو صورة، أو صنم من طين، أو نصب من خشب أو شرعة باطلة، والمتوجهين المتعبدين اسم الحي المتفرد المقدس. . كلنا أمامك عبيد مخطئون، كل يد من أيدينا سارقة، وكل شفة من شفاهنا كاذبة، وأنت ذو الرحمة حين تكون معنا، فلا سيطرة لأحد علينا، احكمنا بقضائك لا بقضاء الأرض، واغفر لنا جهالاتنا، ولا تحشرنا مع السادرين في غيهم من الناس، لقد قست علينا الحياة الدنيا، ولكننا لم نقع؛ لأننا مزودون بالحقيقة، حقيقتك أنت، ومنها نستمد الثقة، أنت الذي أسمعتنا كلمتك، وأمرتنا بأمرك «اطلبوا تجدوا . . . أنت العالم ما في القلوب، والفاهم ما في الأفكار والضمائر، ولا يخفى عنك حتى ما تخفيه أعمق الظلمات. في دنيا الأنوار ستغفر خطايانا وذنوبنا، وتقوم عثراتنا، ستقبلنا طاهرين لا مذنبين، وفاضلين لا رذلاء، ندعوك أن تدع قبسا من نورك يضيء دربنا، وشيئاً من جلالك يغمرنا، أنت الشافي فوق كل من يشفي، والرافع فوق كل من يرفع أنت يا من فتحت أبواب الحقيقة، وكشفت الغامض، وأوحيت بالحكمة، وأُريت آياتك العظمى في القدس، عظيم هو اسمك ومسبح،

أنت الوجود الأزلي، وأنت العرق وأنت الأب، وأنت فوق الأرض والسماء، وأنت المهيمن[٢٣].

فهل بعد الذي قرأنا شك في إيمان الصابئة بإله واحد لهذا الوجود، وهل وجدنا توجههم واعتمادهم على غير هذا الخالق القادر الشافي العظيم الأزلي المهيمن، مقيل العثرات، وغافر الذنوب والزلات، النور الذي يضيء الكون قبل أن تخلق الشمس.

ويعتقد بعض الصابئة أن عمر العالم من آدم إلى نهاية الحياة ٤٨٠,٠٠٠ سنة، وتحكم كل فترة من هذه المدة إحدى علامات البروج، فالحمل (أنبرة) مدته (١٢,٠٠٠) سنة، ومدة الثور (تورا) ١١,٠٠٠ سنة، ومدة الميزان (صلمى أصيليميا) ١٠,٠٠٠ سنة، وهكذا يستمر حساب الزمن وعلامات البروج. وقد ذكرتها دراوور على الشكل التالي:

البرج	الحمل أو الكبش	القيمة العددية
أنبارا (السنة الجديدة)	.....	١
تورا (الثور)	.....	٢
صيليميا (الميزان)	.....	٣
سرطانة (السرطان)	.....	٤
اريه (الأسد)	.....	٥

(٢٣) مجلة التراث الشعبي: العدد التاسع، السنة الخامسة ١٩٧٤ صفحة ٤.

البرج	الحمل أو الكبش	القيمة العددية
شمبلتا (السنبلة)	.....	٦
قينة (القصب)	.....	٧
ارقبة (العقرب)	.....	٨
هطية (الفرس)	.....	٩
كدية (الجدي)	.....	١٠
دولة (الجمل أو الدول)	.....	١١
لؤنه (السمك)	.....	١٢

وللشمس مكانة خاصة عند الصابئة فهي قوة خير لا شر، ولديهم أعداد شمسية مقدسة، (ويدخل قرص الشمس في رسم الحروف الأبجدية، ويظهر (شامش) مطابقا لـ (ياور زيوا)، والصلوات له ذات صفة شمسية، والتقاليد له بحارة من سبعة (اثرى) نورانيين ..... ومع شامس عشرة أرواح للقوة، والإشراق، وهي ترى ما يصنع كل واحد في العالم، ولا يغيب عن نواظرها شيء ... ويظهر القمر (سين) بوصفه ذا تأثير منحوس نوعا ما .. إذ لا بد أن يكون هناك ظلام ونور، وليل ونهار ... إنّ الأرواح النورانية في القمر تحول بينه هو وملك الظلام، وبين تضليل أبناء الشر، فبتأثير هذين الاثنين يأتي الناس بأعمال معينة، يخجلون من الإتيان بها نهاراً ... إن ملك الظلام يعجز عن أن يؤذي رجلاً يسيطر

على نفسه، وله إيمان ثابت، فيجب على المرء أن لا يخامره الشك، وأن يكون دائماً ذا إيمان وطهارة متينين .. وعليه أن لا يقول (لايوجد، بل يوجد)؛ فالمرء حين يقول إن الله غير موجود، فهو واقع تحت سيطرة ملك الظلام بصورة مطلقة، ومن الخطر مجالسة ومصاحبة هذا الشخص)[٢٤] ولكل صابئي اسمان، اسم فلكي (ملواشه)، واسم دنيوي[٢٥]، واسمه الفلكي (الروحي) هو اسمه الحقيقي، ويستعمل في المناسبات الدينية، والطقسية، وينسب هذا الاسم إلى الأم، وللاسم الديني مكانة مهمة، فلو غرق شخص، أو احترق، أو اختفى، ولم يعثر على جثته، يبحث عن شخص حي تشبه أوضاعهُ (الروحية) أوضاع المفقود، ويحمل اسما يقع ضمن دائرته الفلكية، ويقوم الأخير بتمثيل المفقود وقت إجراء الصدقة المباركة (زدقة بريخا)، التي يكفر بموجبها عن نقص في طقوس الموت والدفن.

ويلجأ بعض الصابئيين إلى الكهان؛ للتنبوء بالمستقبل، ويحاول الكهان معرفة ذلك عن طريق التأمل في السماء

(٢٤) الصابئة المندائيون: ١٣٨.

(٢٥) غالبا ما يكون الاسم الدنيوي متأثرا بالمحيط، وفي جنوب العراق يسمي الصابئة أبناءهم بأسماء عربية، والاسم الدنيوي هو الاسم الذي يعرف به الشخص، وبه تتم المعاملات الرسمية، والعقارية، والقانونية، وكل الأمور الدنيوية.

والنجوم، أو يقوم الكهان بإخبار الأشخاص عن اليوم السعيد للزواج، أو عن وقت إرسال الطفل للمدرسة، وبكتابة الوصفات الطبية المصنوعة من الأعشاب للمرضى، الذين يطلبون ذلك، وغالباً ما يرفض الصابئة تناول الدواء شرباً، ولو كان بأمر الطبيب، وهم يؤمنون بالأدهان، ولا يمانعون بأخذ الحقن العضلية أو الجلدية.

(وتقسم السنة عند الصابئين إلى اثني عشر شهراً، ولكل شهر ثلاثون يوماً، مع خمسة أيام كبيسة تسمى (بروانا)، وتلفظ أحياناً (برانويا)، أو (البنجة)، وهي تقع بين الثلاثين من شهر (شمبلته)، واليوم الأول من شهر (فينه)، وتقسم هذه الأشهر الاثنا عشر إلى أربعة فصول: الشتاء (ستوه)، والربيع (أبهار)، والصيف (كيطه)، والخريف (بايز)، وكل فصل يوزع على ثلاثة أقسام)[٢٦]، أما أسماء الأشهر فهي:

رقم الشهر	الفصل	البرج	اسم الشهر
١	أول ستوا	قام دولة	شباط
٢	ميصاي ستوا	قام نونه	آذار
٣	خير ستوا	قام امباره	نيسان
٤	أول أبهار	قام تورا	أيار

(٢٦) الصابئة المندائيون: ١٤٣.

رقم الشهر	الفصل	البرج	اسم الشهر
٥	ميصاي ابهار	قام صلمى	سيوان
٦	خير أبهار	قام سرطانة	تموز
٧	أول كيطه	قام أريا	آب
٨	ميصاي كيطه	قام شمبلتا	أيلول
٩	خير كيطه	قام قنا	تشرين أول
١٠	أول بايير	قام ارقبة	مشروان
١١	ميصاي بايز	قام هيطه	كانون
١٢	خير بايز	قام كديه[٢٧]	طابيت (طابيث)

وتسمى كل سنة باسم اليوم الذي تبدأ فيه من الأسبوع فسنة (هبشبه)؛ أي سنة يوم الأحد، وسنة (أرهاطى)؛ أي سنة يوم الجمعة، والاسم الذي يطلق على رأس السنة هو (دهفه ربه)، آخر يوم من السنة يُسمَّى (كنشي وزهلي).

أما الأرض، فإن لهم بها اعتقاداً خاصاً، فهم يعتقدون أن الأرض كروية، ثابتة، ولكن لها حركة خاصة، وهي مقامة على هوائين، هواء داخلي وآخر خارجي، وتحت الأرض ماء انبسطت عليه، فلما تم خلق الأرض، أنزلت الملائكة من عالم الأنوار بذورا للأشجار، وفتحت طريقاً للهواء، ولماء الحياة، الذي تقوم عليه الحياة، وفتحت طريقاً آخر للنور

(٢٧) قام: أي برج.

نستمد منه الشمس أشعتها؛ لتنير بقية الكواكب بالوساطة.

وتتكون السماء من سبع طبقات.

أما آدم (آدم بفره)، فإن الله حينما أراد أن يخلقه على صورته أنزل (أبثاهيل بن هيبل زيوا) إلى الأرض، فخلقه على صورته من التراب، وخلق من ضلعه الأيسر زوجته حواء، ومن ثم أنزل الروح القدس إلى جسمي آدم وحواء، وعلم الملائكة آدم كل ما في الدنيا من صنائع وحرف، وجريان المياه، وحساب الزمان بسنينه وأشهره وأيامه، ثم أنزلت عليه الكتب المقدسة المحتوية على العبادات والفروض، ثم أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، فسجدوا إلا (ها دبيشه)؛ أي إبليس، فإنه رفض السجود، وقال: خلقتني من النار، وخلقته من تراب، فكيف أسجد له؟ فلعنه الله، وطرده من الجنة.

و(يرى الصابئة أن لكل كائن وجوداً علنياً ووجوداً سرياً، ويرون دائما أن للوجود السري امتيازاً على الوجود العلني، فالعالم السري فسيح، أكبر من العالم العلني، الذي هو عالمنا المسكون، وهو عالم مستور عنا لا يمكننا مشاهدته في حياتنا، ويعتقدون أن سكان ذلك العالم هم بشر مثلنا، إلا أنهم صابئة، منزهون عن كل وصمة . . . أما العالم الثاني، فاسمه (اره تيبل)؛ أي (الأرض البالية)، وهو عالمنا المنظور. ولما كان الوجود السري مماثلاً للوجود العلني، كان في العالم السري آدم مخصوص به اسمه (كاسيا)؛ أي

آدم المستور، ويسمّون زوجته (كانات)؛ أي (تامه الجمال)[٢٨]، ولعالمنا هذا آدم يدعى (آدم بفره)؛ أي آدم المادي، وتسمى زوجته حواء. (ولكي يتخلص الصابئة من قضية الزواج بين الأخوة في بدء الخليقة، اضطروا للقول إن لكل من هذين الآدميين ابنة وولد، فجمع بينهما (هيبل زيوا)[٢٩] وزَوجَ كلاً من الولدين بأخت الآخر، ليتم التناسل البشري على طريقة مشروعة)[٣٠]. أما حديث الطوفان ونوح، فهو قريب مما جاء في الكتب السماوية الأخرى، أما الدنيا، فإن عمرها من ظهور آدم حتى الآن فهو أربعمائة وأربعة وسبعون وخمسمائة وعشرون عاما، (٤٧٤٥٢٠) عاما.

وهناك تفصيلات عن هذه الأعوام، وما مر بها في كتبهم المقدسة[٣١]، (وسيبقى العالم على شكله القائم ٢٦٤٨ عاماً، حتى يظهر المسيح المرتقب، وهو غير المسيح الأول الذي جاء إلى الدنيا، بمظهر جسماني، فتتبدل العادات، وينبذ السلاح، وتمحى الديانات، ويكون العالم على دين واحد[٣٢]، وتستمر الحالة على هذا المنوال ستين

---

(٢٨) أقوام تجولت بينها فعرفتها: ٦١.

(٢٩) هيبل زيوا: هو جبرائيل في العالم المنظور.

(٣٠) الصابئون: ٥٩ ـ ٦٠.

(٣١) في كتاب (الكنزا ربه).

(٣٢) هو الدين الصابئي المندائي (كما يعتقد الصابئة).

ألف سنة، ثم يرجع الأمر إلى شريعة آدم السابقة، ومنه إلى (هيبل زيوا)، فيبقى تحت حكمه خمسين ألف سنة، ثم يصير إلى إمامات، ويستمر مئة وسبعين سنة، ثم تفنى الأرض لتعود إلى عالم الأنوار)[٣٣]؛ أي بقي للحياة على الأرض ١١٢٨١٨ سنة، ويعتقد الصابئة بأن الله رسم للإنسان طريق الخير والشر، والإنسان مخيّر في الطريق الذي يسلكه، خيراً كان أم شرّاً، وهو يحاسب على هذا الأساس.

(٣٣) الصابئون: ٦٣.

أعياد الصابئة

١ ـ العيد الكبير (دهفه ربه):

ومدته أربعة أيام، تبتدىء باليوم السابع من شهر آب من كل سنة مندائية، وتنتهي باليوم العاشر منه، وهو الاسم الذي يطلق على عيد رأس السنة، ويطلق عليه أيضاً (نوروز ربه)، وفي هذا اليوم تذبح الفراخ والخراف؛ لتخزن غذاء، وتوضع على فراش من القصب، بسبب نجاسة الأرض، وفيه يخبز الخبز، ويحفظ داخل البيت، كما تصنع الفطائر، ويطهر التمر والخضار بعناية، وتُحْفظ داخل البيت؛ لئلا تتلوث، ويجلب الماء من النهر، ويوضع في أواني، ليكفي ستاً وثلاثين ساعة، ومن صباح ذلك اليوم إلى مسائه يقوم الكاهن بتعميد الراغبين، كما يجب أن تودع المواشي والدواجن قبل غروب الشمس لدى المجاورين، من غير الصابئين، ذلك أنه (في الساعات الست والثلاثين المقبلة يجب على الصابئين أن لا يمسوا المواشي أو يحلبوها، وقبل أن تغرب الشمس بخمس دقائق تقريباً يغتسل أفراد الصابئة رجالاً ونساء،

كبارا وصغاراً، بالارتماس بالنهر (طماشه) ثلاث مرات، وتطلق النساء الزغاريد، ويعود الجميع إلى بيوتهم، حيث يجب أن يمكثوا هناك، ولا يخرجون لأي غرض. ففي هذه الساعات الست والثلاثين؛ أي من الليلة التي تسبق يوم رأس السنة، ويدعى (يوم الحاجات) تخرج الأرواح الحارسة من البيت ملبية دعوة الطبيعة . . . وعلى الصابئي أن يظل ساهراً طيلة هذه الساعات، وأن لا تغمض له عين، ولكن يسمح للأطفال بالنوم، لتعذر منعهم من ذلك، وفي يوم رأس السنة (يوم الحاجات) لا تُجرىٰ أيّ طقوس دينية، فإذا صادف أحدهم المنية خلال هٰذه الساعات يؤجل دفنه، ويغسل بالماء المختزن في البيت، ويلبس الملابس الدينية (رسته)، وحين يلفظ آخر أنفاسه يغطى بالخام الأبيض، ويترك على حاله إلى فجر اليوم الثاني من السنة الجديدة، حيث يمكن دفنه حسب المراسم المعتادة، تعدّ الوفاة في مثل هذه الظروف كارثة بالنسبة لروح الميت، ولذلك تُقام من أجله في أيام البنجة «زدقة بريخا» و«مسخثه»[1]، وإذا عض أحدهم كلب، أو أفعى، أو لسعته نحلة، فيجب أن يتناول ستين عمادا[2] ويعتقد الصابئون أن ربّ العظمة (مانا ربه كبيرة) قد أتم خلق هٰذا العالم، في هذا اليوم. ولذلك فجميع الأرواح النورانية والملائكة تغادر أماكنها، وتذهب لزيارة ربّ العظمة، وتقدم له الشكر، ويستغرق

(١) مسخثه؛ أي طلب الغفران لروح الميت.
(٢) الصابئة المندائية: ١٤٥ ـ ١٤٦.

عروجهم ١٢ ساعة، ويمكثون في عالم الأنوار ١٢ ساعة، ثم يعودون إلى هٰذا العالم بـ ١٢ ساعة. ولهذا يحتفظ الصابئة من الماء لهٰذه المدة؛ لأن مياة الأنهار والجداول والسواقي تكون بلا حراسة من الملائكة فتتلوث. ولهذا أيضاً نراهم يعتكفون (يكرصون) في بيوتهم طيلة الساعات الست والثلاثين، ولا تغمض لهم عين خشية، أن تقع أيّ نجاسة تفسد عليهم طهارتهم وبهجتهم بهذا العيد، ذلك أن قوى الشر والموت تكون طليقة غير مكبوحة الجماح بسبب غياب الملائكة، وحتى الأشجار تصبح مضرة، ويغلفها الناس بالحصر؛ لئلا يلمسها الأطفال من غير قصد. وفي اليوم الثاني من السنة الجديدة يخرج جميع الصابئين من بيوتهم، فيتزاورون، ويحتفلون، ويتعايدون، وتكون أول زيارتهم لـ (الكنز فره)، حيث يخبرهم عن طالع السنة الجديدة، وتعلق على أبواب البيوت أكاليل من الصفصاف ليحفظ السكان من الخطر، وتستمر بقية أيام العيد الثلاثة، عدا يوم (الكرصة، ويوم كنشي وزهلي) بتناول الأطعمة المنوعة، كالفواكه، واللوز، والجوز، والفستق، والبندق، وكل ما لذ للمحتفلين، (وبهذا يكون مجموع أيام العيد خمسة أيام. أما اليوم السادس والسابع، فيسمى «عيد شيشلام»، والتسمية الكاملة بالمندائية «دهفة اد ششلام ربه» والليلة بين هٰذين اليومين تسمى «ليلة القدر» وفيها

يفتح «أباثر»[٣] أبوابه لطالبي الرحمة والغفران منه، فيزودهم بصكوك نورانية، تحميهم من الأرواح الشريرة)[٤].

٢ ـ العيد الصغير:

ويقع في اليوم الثامن عشر من شهر (تورا)، ويسمى هذا اليوم العيد (دهفه حينه)، أو (دهفه طرمه)، ومدة هذا العيد يوم واحد فقط، تقام فيه مراسم التعميد، وقراءة الفواتح، وإقامة الاحتفال بعودة (هيبل زيوا) إلى عوالم الأنوار من عالم الظلام، وتُقام الأفراح، وتستمر الاحتفالات الاعتيادية يومين آخرين بقصد التزاور.

٣ ـ عيد البنجة (دهوه بروانايا):

يقع هذا العيد في الأيام الخمسة الكبيسة (بروانايا)، أو (النبجة) وهي من أسعد أيام السنة على الإطلاق، وفيها يقام أكبر عيد عمادي نهري، ويأتي في وقت ارتفاع مياة النهر، ويكون غالباً في العشرة الأولى من نيسان، خلال أيام الربيع الأولى، بعد العيد الصغير بأربعة أشهر، ويكرس كل يوم من الأيام الخمسة لروح نوراني، حيث تفتح أبواب عالم الأنوار في) (النبجة) ليلاً ونهاراً،

(٣) أباسر: هو ملاك طاهر، يزن أعمال الناس الخيرة والشريرة تبعا لثقل الروح.

(٤١) مجلة التراث الشعبي: العدد الأول، السنة السادسة ص ٤٢.

لهذا تقام الصلوات في الليل[٥]، وإحدى ليالي (النبجة) هي ليلة خاصة بالغفران تستجاب فيها كلّ الدعوات الصادقة، التي يُناجى بها ربّ عالم الأنوار، و(البنجة) عيد ديني أكثر منه عيداً للراحة والفرح والبهجة، ففيه يأتي الصابئون من أماكن بعيدة إلى موطن كهانهم للتعميد، ويشاركون في الفاتحة (لوفاني)، والصدقة المباركة، (زدقة بريخه)، وفي الذكرى (ذخرانه) من أجل الموتى، ويعتقد الصابئة أن الحواجز مرفوعة بينهم وبين موتاهم من الأقربين والأرواح النورانية التي أنجبتهم منذ عهد قديم خلال أيام (البنجة)، ويرتدي الصابئة الملابس البيضاء خلال العيد، ويأكلون لحم الخراف، وقبل انتهاء (البنجة) يجب تكريس (المندى) بتضحية كبش وحمامة.

٤ ـ عيد يحيى (دهفة ديمانه):

وهو يوم واحد يأتي بعد ٩٠ يوما من (البنجة) في اليوم الأول من شهر (صملى)[٦]، وهو احتفال بتعميد آدم، وفيه كانت ولادة النبي يحيى، ويجب على الأتقياء أن يتعمدوا كأسلافهم، وبما أنه يقع في الصيف، فهو مناسبة جيدة لتعميد الصغار، ومن يتعمد من الصابئين بملابس دينية جديدة (رسته)، يكتسب أجر ستين

(٥) ذلك أنه لا يمكن إقامة صلوات بعد غروب الشمس في سائر أيام السنه.

(٦) قام صلمى: شهر حزيران.

عماداً، ويحرم ذبح الحيوانات في اليوم الذي يلي هذا العيد، أما في يوم العيد، فيذبحون الدجاج.

٥ ـ العاشورية:

وهي مناسبة حزينة، يحتفل بها الصابئة بإقامة الفاتحة (لوفاني) على أرواح المصريين الذين غرقوا في البحر الأحمر حينما كانوا يلاحقون نبي اليهود (موسى)، وتقع هذه الذكرى في أول يوم من شهر (سرطانه)[٧]، ويعتقد الصابئة (بأن المصريين كانوا على دينهم، وبأن جنس أسلافهم الصابئين الأوائل قد انحدروا من مصر إلى جبل ماداي، ولهذا تؤكل كل عام وجبة طقسية في ذكرى الحملة المصرية التي (غرقت في الماء وهي تتبع اليهود الخبثاء[٨]. وقد جاءت قصة غرق المصريين في كتاب أساطير وحكايات صابئية كما يلي: (كان الملك فرعون عنيداً، وقد عوقب من أجل ذلك العناد، وكان المصريون على ديننا، وقد تعلم موسى الذي تربى مع الملك فرعون شيئاً من معارفنا، وكان اليهود بصورة عامة يعبدون «الروهه»[٩] وأبناءها، وبخاصة «يوربا»[١٠] ويجهلون النور، وتعاليم أبناء النور، وإلى هذا اليوم،

---

(٧) سرطانة: تموز.
(٨) الصابئة المندائيون: ٥٠ ـ ٥١.
(٩) الروهة: روح شريرة تجسد المادة والحياة الطبيعية.
(١٠) يوربا: قوة من قوى عالم الظلام.

واليهود يعبدون «يوربا» الذي هو إله الشمس، أن منزلة «يوربا» من الشمس كمنزلة الربان من السفينة يديرها، إلا أنه هو نفسه تحت إدارة أرباب النور؛ لأن أبناء الظلام، والذين هم على حساب الروهة، يخدمون أبناء النور، وهكذا منح شامس موسى القوة، وتخاصم قوم موسى «اليهود» مع قوم الملك فرعون «بره» المصريين، وجعلت فرعون رغبة اليهود في الفرار من البلاد، واجتياز البحر (سوف) أمراً صعباً للغاية، فحين بلغوا البحر، طلبوا من صاحب العبارة العائدة لفرعون أن يجوز بهم البحر، إلا أنه قال «ليست لدي أوامر أن أجوز بكم عبر البحر» فحاولوا ما استطاعوا، ولكنهم لم يقدروا على إقناعه، وكانت لموسى عصا ومعرفة بالأسماء السرية، وقد أعطته «الروهة» تلك العصا، أخذ موسى عصاه، وضرب بها البحر، وتلفظ ببعض الأسماء فجمد الماء جمود التربة، واستطاع هو وقومه أن يسيروا عليه كما لو كان أرضاً مستوية، ومر اليهود عبر البحر، إلا أن موسى ظل واقفاً في الوسط، ولم يتحرك، ولو أنه خرج قبلهم، لخرجت معه قوة الأسماء، ولغرق قومه، وحين اجتاز آخر رجل منهم الماء، تبعهم موسى، بعد ذلك لحق بهم الملك فرعون هو وقومه، وسألوا العبار كيف اجتاز اليهود البحر، فقال: «إنهم لم يستعملوا سفينتي، ولم يجبروني على إعطائها إياهم، إلا أن موسى ضرب البحر بعصاه ونطق على الماء كلمات سحرية، فجف الماء ويبس، كما لو كان أرضاً» قال الملك فرعون (غريب ذلك!) وكان يعرف سر معرفة

موسى للأسماء السرية، فقد درسا سوية حين كانا صغيرين، ضرب فرعون «وهو يملك المعرفة نفسها» الماء بصولجانه، فانشق الماء عن الأرض، إلا أن القوى في العلىٰ التي تكره القتل، وإراقة الدماء، رأت ذلك، ولم يستحسنوه، فالحرب والقتل ممنوعان على أبناء النور، وحين عبر الملك فرعون، لم يقف في الوسط، بل اجتاز البحر قبل جميع جيشه، ولما بلغ الشاطىء المقابل أطبق الماء على أولئك الذين كانوا يتبعونه، فغرقوا جميعاً)[11].

(١١) أساطير صابئية: ١٥ - ٢٦ - ٢٧..

المحرمات عند الصابئة

أهم المحرمات عند الصابئة هي:

١ - القتل والقتال، إلا دفاعاً عن النفس.

٢ - أكل لحم كل ذي ذنب، وكل ما افترس من الطير، والطيور آكلة الأسماك، ويحرم أكل الغراب، والجمل، والحصان، والخنزير، والكلب، والفأر، والأرنب الأهلي، والوحشي، والقط، ويعدّون ذبح الجاموس أو البقر من الجرائم الكبرى[1]، ويأكلون لحم الخراف، والدجاج، والأسماك، والطير الحر، والبط والإوز.

٣ - الزنا واللواط.

٤ - شرب الخمر حتى السكر، ولعب الميسر.

٥ - الختان.

٦ - حلف اليمين، ولو كان صدقاً.

(١) يعدون الأبقار والجاموس من المخلوقات المساعدة للإنسان في الحرث، ولإنتاج الحليب، لذلك يحرمون ذبحها.

٧ ـ يحرم على زوجة الميت لبس السواد، أو قص شعرها، أو البكاء والندب والعويل، ولطم الصدور، أو حث التراب على الرأس؛ لأن انطلاق الروح من الجسد هو تحررها من هذا القيد وعودتها إلى عالم الأنوار.

٨ ـ الأكل والشرب والاشتغال قبل الاغتسال من الجنابة.

٩ ـ الزواج من أجنبي أو أجنبية.

١٠ ـ أن يبقى الإنسان أعزبا دون زواج.

١١ ـ لبس اللون الأزرق، لاعتقادهم أن اللون الأزرق هو لون حجاب الروهة (روح شريرة تجسد المادة والحياة والطبيعة).

١٢ ـ السرقة وقطع الطريق والسلب.

١٣ ـ النظر إلى المحصنة بريبة أو بشهوة.

١٤ ـ شهادة الزور.

١٥ ـ العمل أيام الأحد، والأعياد.

١٦ ـ الغيبة والنميمة والفتنة.

١٧ ـ الامتناع عن سداد الدين أو رد الأمانة.

١٨ ـ الربا بجميع أنواعه وصوره.

١٩ ـ حلق الذقن، أو الشارب، أو الأخذ منهما، أما شعر الرأس فيسمح بقصه للعامة دون رجال الدين.

٢٠ ـ إطلاع غير الصابئين على الكتب الصابئية الدينية.

٢١ ـ خروج الروح من الجسد قبل طهارته، فيجب أن يطهر الجسد بالماء حين يشعر المحيطون بالمريض بدنو أجله.

٢٢ ـ لمس الميت، لأن الميت نجس، ومن لمس النجاسة أصبح نجسا[٢].

٢٣ ـ أكل الدم أو شربه[٣].

الصياغة عند الصابئة:

عُرفَ الصابئة بحرفة صياغة الحلي والفضة، والمصنوعات الفلزية من الفضة والذهب، مزينة بالمينا والرسوم الأخاذة. وتطعيم الفضة بالميناء، سر يحتفظون به، ولا يطلعون عليه أحداً، جاء في كتاب دليل الجمهورية الذي أشرف على إعداده الدكتور مصطفى جواد: (اشتهروا بصياغة المينا (المينة)؛ أي نقش الفضة والذهب، وحفرها، وتلبيسها بالميناء، وهي حرفة احترفها أغلبهم، وبرعوا فيها، وكادوا يختصون بها دون غيرهم)[٤]. من أشهر الصائغين في وقتنا الحاضر (خمسة فقط، والسادس من إيران، وهم حسني زهرون، وعبد الله يحيى واسمر هرمز، وبقال خنجر، ونصر باحور، وعبد الكريم عبد العزيز من عبدان)[٥].

---

(٢) مجلة التراث الشعبي: العدد ١٢ السنة الخامسة ص ١٨٠.

(٣) الصابئة المندائيون: ١١٤.

(٤) دليل الجمهورية لسنة ١٩٦٠ ص ٤٢٩.

(٥) مجلة التراث الشعبي: العدد ٥ ـ ٦ السنة ١٩٧٢ ص ٥٩.

وقد قام بعض الصاغة بعرض صناعاتهم في معارض اشتركوا بها في دول أوروبا وأمريكا. وتنتشر محلات الصاغة في جميع أنحاء بغداد، ويستطيع الصائغ الصابئي أن ينقش صورة فوتوغرافية للزبون بمهارة وحذق فائقين، وأحيانا تكون النقوش على الفضة الملونة، وطالب هذا الفن يتدرب عمليا بضع سنوات في غربلة وتمرين مستمرين تحت إشراف أبيه، أو قريبه، أو أي شخص آخر متمرس وهي فترة قد تستغرق عشرين عاما، أو أكثر، وتمر عملية الصناعة بعدة مراحل هي: ١ ـ الحفر، ٢ ـ الجمع، ٣ ـ اللحيم، ٤ ـ البرده، ٥ ـ تركيب المينا. والأدوات المستعملة في هذه الصناعة هي: المطرقة، والسندان، والمنفاخ، والمبارد (جمع مبرد)، والمسن، والغاز السائل، عوضاً عن المنفاخ. أما الحلي المصنوعة، فعلى أنواع؛ منها النسائية كالأقراط (تراجي)، والحجول، والخلاخيل، والأساور، والقلائد، وغيرها، ورجالية مثل أزرار الثياب، والخواتم، وهناك حلي خاصة بالأطفال، وبعض التحف، كالمزهريات، والسكاكين، والملاعق، وعلب السجائر، وكؤوس، وغيرها. ويقوم الصابئة بصناعة الزوارق.

(والتعبير الشائع عن الزورق العريض، قليل الغور، في الأهوار، هو (المشحوف) وهو عبارة عن تصميم بسيط من الخشب المشروح، وأضلاع داخلية تتصاعد بانحناء من عمود

فقري مركزي، منتهية برأس ومؤخرة، ووظيفتها شق الطريق خلال البردي والقصب، وتسمّى هذه المشاحيف نسبة لحجومها: الركش، والطرادة، وتسمى الصغيرة جداً التي تستعمل لصيد الأسماك (جلابيه)، وتطلى الزوارق من الخارج بالقير)[٦]. ويقوم بعضهم بصناعة الأدوات الزراعية.

أما الجيل الجديد، فقد التحق بالمدارس والمعاهد، فتخرج منها الأطباء، والمحامون، والأساتذة، والضباط، والمهندسون.

---

(٦) الصابئة المندائيون: ١٠٦.

الشريرة، فأصبح محرَّماً، أما خروج موسى من مصر، ونجاته من فرعون، فهو نصر يهودي، ولكنه يمثل فجيعة ومأتما عند الصابئة، بسبب غرق المصريين، ونجاة موسى وقومه. ويقيم الصابئة بتلك المناسبة التي يطلقون عليها (عاشورية) المآدب التأبينية، والفاتحة، والدعوات لأرواح الغرقى. أما سبي اليهود ونفيهم من أرض فلسطين، فهو نصر لقوىٰ النور على قوى الظلام، يفرح له الصابئة، ويترنمون بذكره في كتبهم المقدسة. جاء في ديوان حران كويثا: (ذهب آنش آثرا)[٢] وأحرق مدينة أورشليم وخربها، وقتل بني إسرائيل وكهان أورشليم، وجعلها أكواماً من الخرائب (اكواش تلياد هبروائه)[٣].

الصابئة والمسيحية:

يعتقد الصابئون أن النبي يحيى هو الذي أعطى العلم والمعرفة للسيد المسيح، وأنه هو الذي قام بتعميده في نهر الأردن، وطلب منه يحيى الاستمرار في الدعوة، إذا تعرض للخطر، وفعلاً سجن النبي يحيى، ثم قتل، فقام السيد المسيح في الدعوة، ويعتقد الصابئون أنه خرج عن العقيدة الصحيحة.

جاء في ديوان حران كويثا وصفا للسيد المسيح (لقد حرَّف كلمات النور، وأبدلها بالظلام، وغيَّر دين أولئك الذين كانوا على

(٢) انش اثرا: روح نورانية.
(٣) الصابئة المندائيون: ٤٧.

ديني، وبدل جميع الشعائر (أبيداثا)، وقام هو وإخوانه في جبل سيناء، ودعوا لأنفسهم جميع الناس، وجلبوهم لدينهم، وأطلقوا عليهم اسم (كريستيانا)، وسموا على اسم مدينة الناصرة (نزرته مدنتا)[٢]. ويتفق الصابئون مع المسيحيين في بعض الأمور، كاحتفالهم بإقامة الوجبات الدينية، وعطلتهم في يوم الأحد، وتحريمهم للختان، وقيامهم بعملية التعميد، (رغم اختلاف كلّ منهما في طريقة التعميد):

ويحاول بعض الباحثين عدّ الصابئة طائفة مسيحية، بسبب اتخاذ الصابئة يوم الأحد عيداً لهم، وتشابههم في بعض الأمور. والذي أراه أن المسيحية تعترف بتأثير يوحنا المعمدان في العقيدة المسيحية، فالنبي يحيى هو الذي قام بتعميد السيد المسيح، وهو الأسبق بالدعوة الدينية، لذلك، فإن من يزعم بأن العقيدة الصابئية متأثرة بالديانة المسيحية، عليه أن يعتقد أيضاً بأن العقيدة المسيحية تأثرت إلى أبعد الحدود بالعقيدة الصابئية المندائية عقيدة النبي يحيى، بل هي أكثر تأثيراً في المسيحية؛ لأنها الأسبق، ولم يذكرها القرآن على أنها عقيدة قائمة بذاتها عبثا، بل تقريراً لحقيقة قائمة بوصفها دينا خاصاً قائماً برأسه.

الصابئة والإسلام:

اعترف الإسلام بالديانة الصابئية كديانة سماوية، وذكرها

(٤) الصابئة المندائيون: ٤٦.

القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، الأول في الآية ٦٢ من السورة الثانية (سورة البقرة) قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ والثاني في الآية ٦٩ من السورة الخامسة (سورة المائدة) قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ والثالث في الآية ١٦ من السورة ٢٢ (سورة الحج) قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد**﴾، فالإسلام اعترف بالصابئة كاعترافه باليهودية والنصرانية، وأفتى الإمام أبو حنيفة بأخذ الجزية من صابئة العراق على هذا الأساس، ووافقه على ذلك الإمام أبو يوسف، وعليه، فإن موقف الصابئة من الإسلام والمسلمين كان موقفاً إيجابياً، فالمندائيون (يحترمون سيدنا محمداً (ص)، ويلقبونه بملك العرب، وبالقائد العربي، كما يحترمون بيت الله الحرام في مكة، ويعتقدون أن النبيّ إدريس هو الذي أنشأه أول مرة، وأنه بيت زحل، أعلى الكواكب السيارة)[٥].

ويتفق الصابئون مع المسلمين في عدة أمور منها، تحريم الربا، والمسكرات، ولحم الخنزير، والجوارح من الطير، وفي

(٥) مجلة المورد: المجلد الخامس، العدد الثاني، ١٩٧٦، ص ٦٢.

الوضوء قبل إقامة الصلاة، وفي الطهارة من الجنابة، وتعدد الزوجات، وفي توحيدهم لله ورد الأمانة، والمحافظة على العفة، ويتفقون مع المسلمين في مفسدات الوضوء والصلاة، وفي تحريم النميمة والغيبة والفتنة، وأكل الدم أو شربه، ومنع شهادة الزور، وحلف اليمين الكاذبة، وتحريم السرقة وتحريم الرهبنة.

عدد الصابئة وأماكن تواجدهم

عاش الصابئون في العراق منذ آلاف السنين، وهم الآن في طريقهم إلى تطور ديني، لا بـد أن يبعدهم كثيـراً عن طقوسهم وشعائرهم الأولى، بسبب التطور الحضاري الذي يفرض عليهم الانتقال ومعايشة الطوائف الأخرى، فقد كانت نفوس الصابئين في القرن السابع عشر، حسب روايات بعض المؤرخين، ما يقارب «مـائة ألف نسمـة»، أما الآن وعلى الـرغم من العنايـة الصحية والظروف المواتية من الناحية الاجتماعية إلا أن تعدادهم لا يتعدّى عشرين ألف نسمة)[1]، ويذكر الرحالة الفرنسي تافارنيه أنه حين مر بمدينة البصرة في آذار من عام ١٦٥٢ للميلاد، قيل له إن أتباع يوحنا المعمدان (الصابئين) في البصرة وأطرافها نحو (٢٥) ألف عـائلة[2]، ويتوزع الصـابئون في محـافظة ميسـان (العمـارة)، وبغداد، ومحافظة ذي قار (الناصرية)، والقادسية (الديـوانية)،

---

(١) الصابئة المندائيون: ٢٢.

(٢) Tavernier ,Les six voyages, P 90 Paris 1713.

وقلعة صالح، والقرنة، والعزير، والشرش، ونهر صالح، وسوق الشيوخ، والبصرة، والكوت، والحلّة، وديالى، وكركوك، والموصل، ويوجد قسم آخر من الصابئين في جنوب إيران، وعددهم بضعة آلاف، يعيشون حول نهري كارون والدز في مدينة المحمرة، وششتر، ودزپول، وناصرية الأهواز، وبستان وسو شكدو. وانتشر الصابئون في هذا القرن، فاتجهوا للإقامة في المدن الكبرى طلباً للرزق، وللإقامة في أماكن وظائفهم، فسكنوا المدن العراقية، ونزح قسم منهم إلى عواصم الدول المجاورة، كدمشق، وبيروت، والقاهرة، وإلى تركيا، كما سافر بعضهم إلى أوروبا وأمريكا وافتتحوا فيها محلات لصياغة الذهب والفضة المطعمة بالميناء، واضطروا للتخلي عن بعض شعائرهم الدينية، فاكتفوا بأخذ المياة من الصنابير بدل الأنهر، وحلقوا شعور رؤوسهم ولحاهم، وساكنوا أبناء الطوائف الأخرى، وشاركوهم في طعامهم وزيهم.

لغة الصابئة:

اللغة الصابئية المندائية هي إحدى اللهجات الآرامية، واسمها مشتق من الكلمة الآرامية (مدعا)، ومعناها المعرفة، واللهجة المندائية هي أنقى اللهجات الآرامية؛ لعدم اختلاطها بعناصر أجنبية، وهي بهذا تمثل اللغة الآرامية السليمة. جاء في بحث (تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى الفتح الإسلامي)

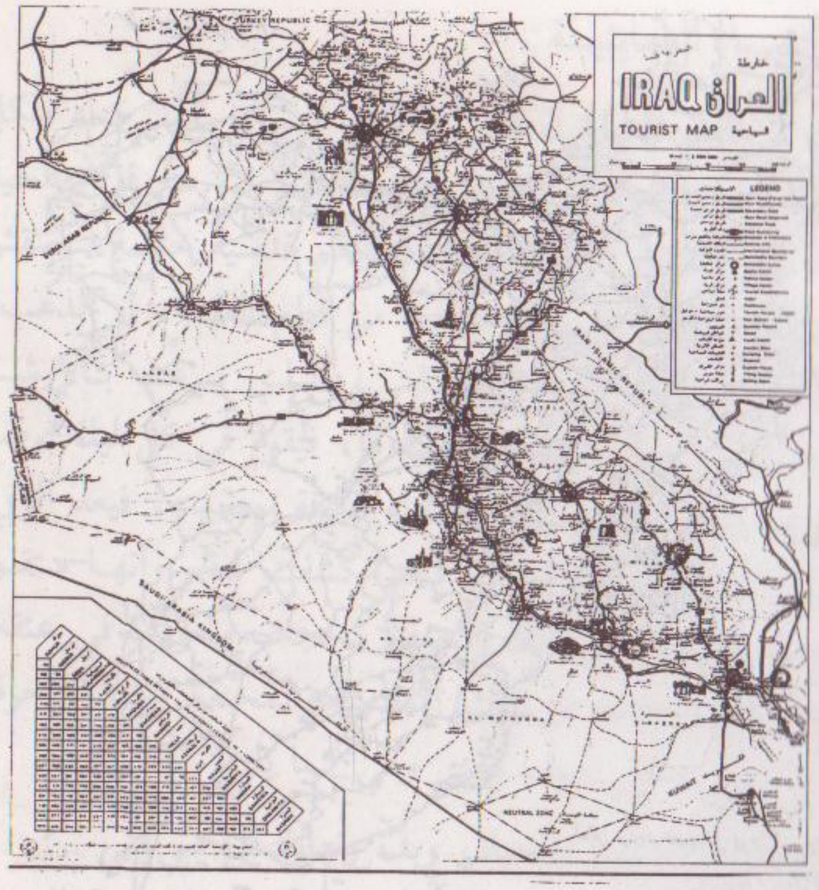

لمؤلّفيه الدكتور مراد كامل، والدكتور محمد حمدي البكري:
(ونستطيع بعد ذلك أن نقسم اللهجات الآرامية إلى شرقية وغربية، أما الشعبة الشرقية، فتضم لهجة «الرها» الآرامية، وكان موطنها ما بين النهرين، وسميت بعد ظهور المسيحية بالسريانية، ولهجة آرامية يهودية بابلية، هي لهجة (التلمود البابلي)، وكان موطنها شمالي العراق، ولهجة الصابئين الآرامية، وهي اللهجة

(المندعية) (المندائية)، وموطنها جنوب العراق، ومعناها المعرفة، ويُسمّى أصحابها بالصابئين أو المنداعبين (المندائيين)، وهم طائفة من القبائل الآرامية، كانت تسكن منطقة الأردن، ثم هاجرت منها إلى العراق)[٣].

(٣) المقتطف: الجزء الأول، المجلد الخامس عشر بعد المائة، سنة ١٩٤٩.

الألفبـــاء الصابئيـــة:

يطلق الصابئون على الألفباء اسم «آ ـ بـا ـ كـا» ولكل حرف معنى خاص، ويمثل بالنسبة لهم قوة من قوى الحياة والنور، لذلك، فإن للحروف عندهم قدسيةً خاصة، وتنقش حروف الألفباء على قدر عددها من قطع الفضة، أو الذهب، وتوضع تحت وسادة الصابئي، الذي يرغب بالإرشاد السماوي، حين تنزل به مصيبة ما، فيقوم في كل ليلة بوضع حرف واحد، حتى يرى مناماً له علاقة بمصيبته، فيعد الروح التي تخفي ذلك الحرف قد انكشفت له، وأنها ستقوم بمساعدته، فيلبس ذلك الحرف كحجاب وتعويذة في عنقه، حتى يتم تخلصه من تلك المصيبة والمحنة، وعدد الأحرف ٢٤ حرفاً، لكل حرف معنى وهي كما يلي:

آ ـ الكمال والنور والحياة، وبدء ونهاية كل شيء.
بـا ـ الأب الأعلى.
كـا ـ جبرائيل الرسول.
دا ـ السبيل أو القانون.
هـا ـ الحياة العظمى.
وا ـ ويل لمن لا يصغي للغة الحياة.
زا ـ الإشعاع والنور الفاعل.
هه ـ وهذا الحرف مقدس لذلك لا يستعمل كثيراً، وهو يمثل عين الله.

طـا ـ طيب أو حسن.
يـا ـ اليـــوم.
كـا ـ إكليـــل الآسى.
لا ـ لسان يتحمد.
مـا ـ العقل العظيم الأول أو الروح.
نـا ـ نـــور.
ســا ـ أم جميع الحياة.
اي ـ العين أو عين الماء.
بـا ـ شجـــرة الحيـــاة.
صـا ـ أنت الصوت الأول.
قـا ـ أنت قول الحياة الأول.
شـا ـ الشمـــس.
تـا ـ التوبـــة.
او ـ أداة إضافية.
آ ـ كالحرف الأول . . . . وضع لجعل العدد فلكيا؛ أي أربعة وعشرين حرفا.

ونـلاحظ أن الحروف المنـدائية تفتقـد إلى الحـروف الحلقية، فالهاء تؤدي وظيفة الهاء والحاء والعين، كمـا أن التمييز غير واضح بين السين والصاد والـزاي، وبين الكاف والقاف، وأُدخلت حروف تكميلية في عصور متأخرة لتساير التـــطور، وهي غيـر مستعملة في الكتب الـــدينيـــة، وهي

غ ـ ع ـ ضا أو ذا ـ جا ـ فا.

* نماذج للأحرف الأبجدية المندائية:

بعض العبارات باللغة المندائية، ومعناها بالعربية، ومنه، نـلاحظ التقارب في المعـاني واللفظ. (أدنى شمن قال دهيى) لتسمع أذناي صوت الحياة.

ـ ادنى: أي اذنيْ.

شمن: أي سمعن، وجاءت بدون حرف العين؛ لأنهم لا يلفظون العين.

قال: أي قول أو صوت.

دهيى: الدال هنا حرف التعريف[٤] (الـ) وهيى أي الحياة، وكان لفظها هيى لأنهم لا يلفظون الحاء.

ـ (ابرخ ومشبه ومروب وميقر).

مبارك هو مسبخ، معظم ومبجل.

أبرخ: من البركة، ويلفظون الكاف خاء.

مشبه: مسبح، وجاءت بلفظها؛ لأنهم لا يلفظون الحاء.

ورب: من ربا يربو؛ أي كبر وعظم، ومنه كان الربا؛ أي الزيادة.

---

(٤) قلنا إن الدال هنا حرف التعريف (الـ)، وهذا موجود في اللغات السامية فكلمة (دلعونا) معناها نطلب العون، فدلعونا تعني العونا، ومن هنا جاءت (على دلعونا على دلعونا). أي العون العون.

طا ـ طيب أو حسن.
يا ـ اليـــوم.
كا ـ إكليـل الآسى.
لا ـ لسان يتحمد.
ما ـ العقل العظيم الأول أو الروح.
نا ـ نـــور.
سا ـ أم جميع الحياة.
اي ـ العين أو عين الماء.
با ـ شجـرة الحيـاة.
صا ـ أنت الصوت الأول.
قا ـ أنت قول الحياة الأول.
شا ـ الشمـــس.
تا ـ التوبـة.
او ـ أداة إضافية.
آ ـ كالحرف الأول . . . . وضع لجعل العدد فلكيا؛ أي أربعة وعشرين حرفا.

ونـلاحظ أن الحروف المنـدائية تفتقـد إلى الحـروف الحلقية، فالهاء تؤدي وظيفة الهاء والحاء والعين، كمـا أن التمييز غير واضح بين السين والصاد والـزاي، وبين الكاف والقاف، وأُدخلت حروف تكميلية في عصور متأخرة لتساير التـطور، وهي غيـر مستعملة في الكتب الـدينيـة، وهي

غ ـ ع ـ ضا أو ذا ـ جا ـ فا.

* نماذج للأحرف الأبجدية المندائية:

بعض العبارات باللغة المندائية، ومعناها بالعربية، ومنه، نـلاحظ التقارب في المعـاني واللفظ. (أدنى شمن قال دهيى) لتسمع أذناي صوت الحياة.

ـ ادنى: أي اذنيْ.

شمن: أي سمعن، وجاءت بدون حرف العين؛ لأنهم لا يلفظون العين.

قال: أي قول أو صوت.

دهيى: الدال هنا حرف التعريف[٤] (الـ) وهيى أي الحياة، وكان لفظها هيى لأنهم لا يلفظون الحاء.

ـ (ابرخ ومشبه ومروب وميقر).

مبارك هو مسبخ، معظم ومبجل.

أبرخ: من البركة، ويلفظون الكاف خاء.

مشبه: مسبح، وجاءت بلفظها؛ لأنهم لا يلفظون الحاء.

ورب: من ربا يربو؛ أي كبر وعظم، ومنه كان الربا؛ أي الزيادة.

---

(٤) قلنا إن الدال هنا حرف التعريف (الـ)، وهذا موجود في اللغات السامية فكلمة (دلعونا) معناها نطلب العون، فدلعونا تعني العونا، ومن هنا جاءت (على دلعونا على دلعونا). أي العون العون.

وميقر: أي موقر ومبجل، وهنا قلب الواو ياء، فأصبحت ميقر بدلا من موقر.

- (اشم اد هيي واشم اد منداد هيي مدخر الي).

اسم الحي واسم مندا هيي منطوقان عليّ.

اشم: اسم.

ادهي: الحي، الدال حرف تعريف، فتصبح إلهي، وهم لا يلفظون الحاء، فتكون الحي.

واشم: واسم.

منداد هي: اسم علم.

مدخر: منطوق أو محفوظ، وجاء هنا من ادخر فهو مدخر.

إلى: علـي.

ومنه تبين لنا التقارب بين اللغة المندائية والعربية، فأصلهما واحد، إلا أن التباعد الزمني أدى إلى هذا الاختلاف في اللفظ، كالاختلاف بين لهجات العربية في الشمال والجنوب، قبل أن توحَّد اللهجات بعد نزول القرآن.

الصابئة ومساهمتهم العلمية والأدبية في الحضارة العربية:

كان للصابئة دور بارز في الحضارة العربية الإسلامية، فبرع بعضهم في الطب والصيدلة، وبعضهم في الموسيقى والحساب والهندسة والفلك، ومنهم من عُني بتدوين التاريخ

الحروف الابجدية

المندائية	العربية
٥	آ
	ب َ بِ ب ُ ب
	ك َ كِ ك ُ ك
	د َ دِ د ُ د
	هـ َ هـِ هـ ُ هـ
	و َ وِ و ُ و
	ز َ زِ ز ُ ز
	ح
	ط َ طِ ط ُ ط
	ي َ يِ ي ُ ي
	ك َ كِ ك ُ ك
	ل َ لِ ل ُ ل
	م َ مِ م ُ م
	ن َ نِ ن ُ ن
	س َ سِ س ُ س
	إي
	ب َ بِ ب ُ ب وتلفظ ايضاً ف
	ص َ صِ ص ُ ص
	ق َ قِ ق ُ ق
	ر َ رِ ر ُ ر
	ش َ شِ ش ُ ش
	ت َ تِ ت ُ ت وتلفظ احيانا ث
٥	إ ُ و آ

نماذج متقاربة بين اللغة العربية والمندائية

نموذج من الحروف مع الحركات يجوز اتصالها

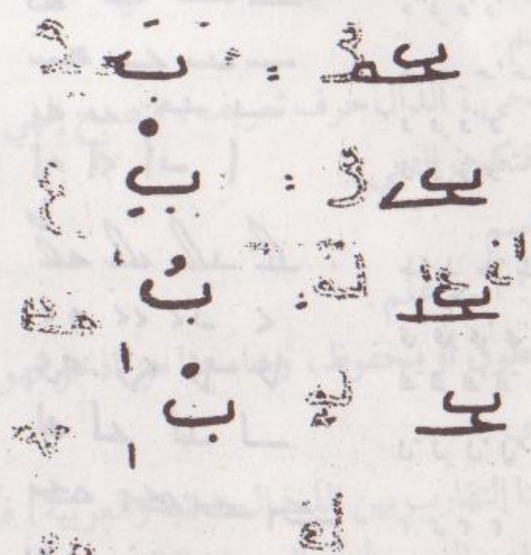

نموذج من الحروف مع الحركات التي لا يجوز اتصالها

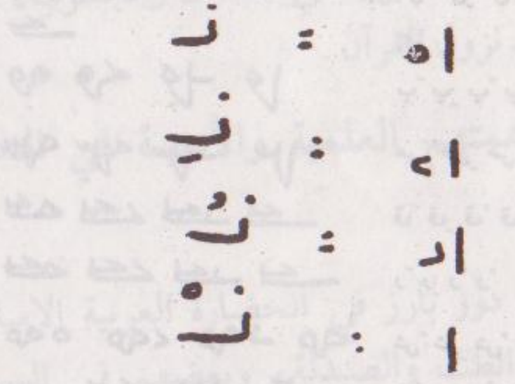

نماذج من الحروف مع حركاتها

وأخبار الزمان. تقلد غير واحد منهم جلائل الأعمال في خدمة خلفاء بني العباس، وأمرائهم، ووزرائهم، وملوك بني بويه ووزرائهم، فسار ذكرهم في الآفاق، ووسدت إليهم الأعمال الجليلة، والأسرار الخطيرة فنهضوا بأعبائها نهوضا)(٥).

فثابت بن قرة بن زهرون الحراني الصابىء انتقل من حران إلى بغداد، واشتغل بعلوم الأوائل، فمهر فيها، وبرع في الطب، وله تآليف كثيرة في فنون العلم، مقدار عشرين تأليفا، حتى قال فيه السري الرفاء الشاعر:

هل للعليل سوى ابن قرة شافي
بعد الإله، وهل له من كافي؟
فكأنه عيسى بن مريم ناطقا
يهب الحياة بأيسر الأوصاف

ومنهم إبراهيم بن ثابت بن قرة الصابىء، كان من حذاق الأطباء ومقدمي أهل زمانه في صناعة الطب، حتى قيل فيه:

برز إبراهيم في علمه
فراح يدعى وارث العلم
أوضح نهج الطب في معشر
مازال فيهم دارس الرسم

(٥) رسوم دار الخلافة: ٥.

إن غضبت روح على جسمها
أصلح بين الروح والجسم

وبرز منهم إبراهيم بن سنان بن ثابت الصابىء، كان ذكيا عاقلا عالما بأنواع الحكمة، والغالب عليه فن الهندسة، وقد كتب مقالة فيها إحدى وأربعين مسألة هندسية من صعاب المسائل، في الدوائر، والخطوط، والمثلثات، وكتب مقالة ذكر فيها الوجه في استخراج المسائل الهندسية بالتحليل والتركيب، وسائر الأعمال الواقعة في المسائل الهندسية، ومما يعرض للمهندسين ويقع من الغلط نتيجة الطريق الذي يسلكونه في التحليل، إذا اختصروه على حسب ما جرت به عادتهم، وكتب مقاله في رسم القطوع الثلاثة، بين فيها كيف توجد نقط بأي عدد شئنا، على أي قطع أردنا من قطوع المخروط.

ومن أشهر علمائهم أبو إسحاق إبراهيم الصابىء، الذي اشتهر بدوره البارز في الأدب العربي، والثقافة الإسلامية، وهو (صاحب الرسائل المشهورة، والنظم البديع، كان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة، وعن عز الدولة بن بختيار بن معز الدولة بن بويه الديلمي، وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ هـ، كان متشدداً في دينه، وقد جهد عليه عز الدولة أن يسلم فلم يفعل، وكان يصوم شهر رمضان، ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ، ويستعمله في رسائله، وقد رثاه

الشريف الرضي في قصيدته التي مطلعها:

أرأيت من حملوا على الأعواد
أعلمت كيف خبأ ضياء النادي!

قيل: وعاتبه بعضهم في ذلك؛ لكونه شريفا، يرثي صابئياً، فقال لهم: «إنما رثيت فضله»[٦].

ومن العلماء الأفذاذ هلال بن المحسن الصابىء، الذي ولد في بغداد سنة ٣٥٩ هـ، وأسلم في حدود سنة ٤٠٣ هـ، ومات سنة ٤٤٨هـ، وهو أول من أسلم من بني زهرون، (ويرجع الفضل في تعلم هلال فنون الكتابة، وأصول البلاغة، إلى جده أبي إسحاق الصابىء. وكان أبو إسحاق يتولى ديوان الإنشاء في بغداد)[٧]، فتولاه كذلك هلال، فبرع في ذلك، وصنف كتابه (رسوم دار الخلافة) من خلال وقوفه على شؤون تلك الدار من رسوم، وما كان بداخلها من خبايا، وخفايا، وأسرار. وعمل هلال كاتباً لأسرار فخر الملك (محمد بن علي بن خلف، وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي) وبعد وفاة بهاء الدولة وزر لولده سلطان الدولة. واشتهر هلال بتاريخه، كما اشتهر جده إبراهيم برسائله قال السخاوي في هلال: (إن له تاريخاً في أربعين مجلداً)[٨]،

(٦) مجلة التراث الشعبي: العدد التاسع، السنة الخامسة، ص ١٠.
(٧) رسوم دار الخلافة: ١٢.
(٨) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ٩٧-١٥٢.

وقال الخطيب البغدادي: (كان ثقة صدوقا)[٩]. وله أشعار جيّدة منها في مدح الشريف المرتضي:

أسيدنا الشريف علوت عن أن
تضاف إليك أوصاف الجلالة
لأنك أوحد الناس دونٌ
ومن يسمو لمجدك أن يناله

من مؤلفاته:

١ ـ أخبار بغداد، وقد ضاع، تناول فيه تاريخ بغداد وخططها.
٢ ـ الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان.
٣ ـ كتاب التاريخ (ذَيَّلَ به تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قره).
٤ ـ تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء.
٥ ـ الرسالة، أو «الرسائل».
٦ ـ رسوم دار الخلافة.
٧ ـ السياسة.
٨ ـ غرر البلاغة.
٩ ـ كتاب (الكتاب).
١٠ ـ كتاب (مآثر أهله) في تاريخ أهل بيته.

ومن العلماء الصابئين ابنه محمد غرس النعمة، عمل

(٩) تاريخ بغداد: ١٤/ ٧٦.

في دار الإنشاء للخليفة القائم بأمر الله في سنة ٤٤٨ هـ. صنف غرس النعمة كتاب (التاريخ) وهو ذيل على تاريخ أبيه هلال، ومن تصانيفه المشهورة كتابه الموسوم (الهفوات النادرة من المغفلين المحظوظين، والسقطات البادرة من المعقلين الملحوظين)[١٠].

وفي عصرنا هذا، فإن الأمر لم يختلف عما كان عليه، إذ انصرف شباب الصابئة إلى العلم، فبرز منهم الأطباء والأدباء والعلماء، نذكر منهم الروائي الشعبي المرحوم هرمز بن ملا خضر، والأديب الباحث غضبان رومي ونعيم بدوي، والشاعرة اللامعة لميعة عمارة؛ والأديبة الباحثة ناجيه المرائي، والشاعر منصور دباس والشاعر عبد النبي رابع، والشاعر عزيز كاري، والشاعر سوادي واجد، والشاعر سباهي شبيب، والشاعر عودة، والشاعر خشن غيلان، والشاعر منصور خيطان، وبرز الصناعيون الصابئة في كثير من المجالات الصناعية، كصناعة القوارب، واحتكروا صناعة صياغة الميناء أي نقش الفضة والذهب، وحفرها وتلبيسها بالميناء.

(١٠) منه نسخة في خزانة نور عثمانية باستانبول برقم ٤١٢١. وأخرى في خزانة أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٦٣١، وعنهما تسختان مصورتان في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

- ١ -

(النطق بالحرف العربي)

ماري دكيه

مشبه بلبه

مْشَبَّتْ ماري بلبِّه دَكْيه
مَارَيْهون إدْ كُلْهونْ آلمي مْشَبَّتْ
إبْرَخْ ومْشَبَّه ومْرَوْرَب وميقر
ومْقَيَّمْ ألَهَ ربّا رامَه
وَشْبيه مَلْكا رامَ دَنْهورا
ألَهَ دِشْرَارَا إدْ إنْفَش هَيْلي
وسَاخا لِثْلي زيوا دَخْيه ونهروا
ربّا إدْ لا باطِل، هَياسَا وتَيابا
وريوانا ومِرْهَمْانا بَرُوقَا
إدْ كُلْهونْ مْهَيْمِني ومِقْيماني
إدْ كُلْهون طابي. أزيزا، هكيما
ويدويا، هزايا وشَلِيطا، إدْ إلْ
كل إصْبو. مارَ يْهون إدْ كُلْهونْ
آلمي دَنْهورا إيلايا ومِيصايا
وتِيثايا برصُوفا ربّادِ
إيقارا إدْ لا مِيْتَهْزي ولا مِستَيْنَحْ.

- ١ -

(المعنى)

آلمي طاهر

سبحان بقلب

سبحان ربي، بقلب طاهر،
إله كل العوالم، سبحانه
مبارك هو ومسبح، معظم ومبجل
ودائم، الله العظيم المتعالى
سبحانه ملك عالم الأنوار السامي
رب الحق ذو الحول الشامل
الذي لا شبيه له. النور النقي، والخير
العميم الذي لا ينضب. الغفور التواب،
الرحيم الرحمان، العارف
بجميع الطيبين، العزيز الحكيم،
العالم البصير، القادر على
كل شيء. رب كل
عوالم النور، العليا والوسطى
والسفلى. ذو الجلال
العظيم الذي لم يُرَ ولم يُسْمَع.

(النطق بالحرف العربي)

- ٢ -

هَيْي رَبِّ

- ١ -

إشم إدْ هيي واشمَ اد منداد هيي مَدخَر إلي

- ٣ -

رواهة اد هيي

٣ - بِشَميهونْ إدْ هيي رَبي لَوْفَهه ورِواهة إدْ هيَي

٤ - وشافَقّ هَطايِي نَهويلي إلهازَه بِشِمْتَه إلديلي (الملواشه)

٥ - إدْ هازَ. مَسِخْتَه وشافَقْ هطايي نَهويلي

- ٤ -

بلَّط بندامَه

٢ - مَلّل وابتَه هيي رَبّ إسمُيهون زِيوَه وانهوره وإيقاره إدْ نافثْيهون ومشبّين هيي.

- ٥ -

الرِشَامَهْ

٩ - إبْرَخ يَردِنَه اد مَيّه هيي مْشَبّه ماري كُشْطَه سَنّخون

١٠ - بِشْمَيهون إد هيي ربي أسُونَهْ وزكْوتَه نهويلخ

١١ - يا آبْ أبوهنْ مَلكا پرياويس يَردِنه ربَّه أدمَيّه هيي

١٢ - بِشمَيّهون إدْ هيي رَبي هَلَلِينْ ايدن بْكشطَه واسْفَنْ بهيمنوثه

١٣ - مَللينْ إبْمَلالي اد زيوه وإزهيِ طَبّن بصري دَنْهورهَ

١٤ - إبْرَخ إشمَخ وَمْشَبّه اشمخ ماري مندا دهيي، إبْرَخ

١٥ - وَمْشَبه ماخ برصُوفَه رَبّه ديقَاره من نافشي إفْرَش

(المعنى)

- ٢ -

الحي العظيم (تماثل البسملة)

١ - اسم الحي واسم منداد هيي منطوقان عليّ

- ٣ -

رحمة الرب (الفاتحة)

٣ - باسماء الحي العظيم المغفرة والرضا

٤ - وغفران الخطايا، تهدى لروح (الاسم الديني)

٥ - صاحب هذا الثوب ولتغفر له خطاياه

- ٤ -

فك اللثام

٧ - نطق وابتدأ الحي العظيم وألقى بأفواهكم النور والصلاح والوقار لأنفسكم وصبحان الحي

- ٥ -

الوضوء

٩ - تبارك الماء العظيم ماء الحياة سبحان إلهي، احفظ عهده

١٠ - باسماء الحي الرب العظيم، سلام عليك

١١ - يا أبا الآباء ملك برياويز، الماء العظيم ماء الحياة

١٢ - باسماء الحي العظيم أطهر يَديَ بالعهد وشفتي بالإيمان

١٣ - لينطقا بكلام النور وليكن ضميري نقياً مؤمناً بالصلاح

١٤ - تبارك اسمك سبحانك ومسبح اسمك يا إلهي ويا منداد دهي، تبارك

١٥ - وسبحانه ذو السيماء الجليلة الذي انبعث من ذاته.

(تابع الرشامة)

١ ـ أنا (الملواشه) رَسَشِمْنَا بروُسْشَه إدْ هَيي إشم إد هيي واشم اد مندا اد هيي مَدْخر إلي

٢ ـ (تلاته زِ بنى) إدْ ني شُمَّن قالَ إدْ هيي

٣ ـ (تلاته زِ بنى) إنْهيري إرّه ر يها اد هيي

٤ ـ روشْمَيْ إيلاوِي لِهوَ بنوره ولهوَ بمشّه ولهو إد مْشيهَه

٥ ـ إمشي روشْمَهْ بَيردنَه ربه اد مَيّه هيي اد أنَشْ

٦ ـ بَهيلي لامْصي اشم اد هيي واشم اد مندا دهيي مَدخَر إلي

٧ ـ كَفَشْ هَشُوخَه واترس نُهورهَ، اشمَ اد هيي واشمَ اد مندا ادهى مدخرا إلي

٨ ـ (تلاته زبني) يُمِّي بُوثا وتَشبيه تَملْا

٩ ـ (تلاته زبني) بُركِي مربيكا وساغدِي إلهي ربي

١٠ ـ (تلاته زبنى) لُغْري مدريكا دِرْكَه كُشطَا وَهيمنُوثَه

١١ ـ انا (الملواشه) صَبينا إبَمصُبتّه إدْ بُهرام رَبّه بَرْ رورِبي

١٢ ـ مَصْبِتي تناطري وتِسّق لَرَيش اشم اد هيي واشم اد مندا دهيي مَدخر إلي

١٣ ـ لُغْري أيديهون شفّه وترسسر لا تشتلّطْ إلى اشم اد هي واشم اد مندا أدهي مدخر إليّ

(المعنى)

١ ـ أنا (الاسم الديني) ارتسم برسم الحياة اسم الحي واسم مندا اد هيي منطوقان عليّ

٢ ـ (ثلاث مرات) اذناي تصغيان لقول الحي

٣ ـ (ثلاث مرات) أنفي يستروح رائحة الحياة

٤ ـ رسمي الذي ارتسم به لاهو بالنار[1] ولا هو بالدهن ولا هو بالمسح

٥ ـ إنه مرسوم بالماء الجاري، ماء الحياة، الذي لا يجحد الإنسان

٦ ـ قدرته اسم الحي واسم مندا اد هيي منطوقان عليّ

٧ ـ ابتعدي ايتها النجاسة وإلي أيها النور، اسم الحي واسم مندا ادهي منطوقان علي.

٨ ـ (ثلاث مرات) ليمتلىء فمي بآيات التسبيح

٩ ـ (ثلاث مرات) ركبتاي ساجدتان للحي العظيم

١٠ ـ (ثلاث مرات) رجلاي سالكتان طريق الإيمان

١١ ـ انا (الاسم الديني) قد تعمدت بعماد بهرام الكبير ابن القدرة

١٢ ـ عمادي يحرسني ويرفعني إلى العلا اسم الحي واسم مندا اد هي منطوقان عليّ

١٣ ـ لُيرفع عن رجلي ويدي تسلط السبعة والاثني عشر اسم الحي واسم مندا ادهي منطوقان عليّ.

---

(١) يقصد بالنار المجوس، وبالدهن اليهود (موسى) وبالمسح المسيحيين، أي أنه مندائي صابئي.

- ٦ -

البَراخَهْ

- ١ -

٢ - إكَّه هيي، إكَّه مارِي، إكَّه مِنَدا إدْ هيي

٣ - بسَهْدوثَه اد هيي وبْسَهدُونه إدْ مَلْكا رامه دنهوره

٤ - إلهَ إدْ مِنْ نَافشي إفْرَشْ، إد لا بَاطَل ولا مبَطل إسْمَخ

٥ - يا هيي وماري ومندا اد هيي

- ٢ -

٦ - مسَبَّهْ مارِي كشطاسَنِّخَون بِشْمَيهون إدْ هيي رَبّي

٧ - قَومْ قَومْ بهيري. زِدقَهْ قَومْ شَلماني وِمْهيَمني قَومْ

٨ - إسْغَدْ وشَبّه الهيي رَبِّي وشَبّه المَلكا شيشلام

٩ - رَبّه، وشَبّه إلْتَنّه كَسْيَـه هامْ زِيوه، وشَبّه اليَاوَر

١٠ - رَبّه وازلات رفَتي، وشبّه السِيمات هيي اد مِنهون

١١ - كلهون آلمِي وشَبه الأيْنَ وسِندَرْ كا إد أبا أد أثُرِى

١٢ - إدْ مِنْ هُوْ أنا سَغَدْ نالي وَشبّنالي الهاهو ملكا رَامه

١٣ - رَبّه دَنهُورَه هَياسَهْ إدْ إمْلي رهمي.

(المعنى)

- ٦ -

- الصلاة -

- ١ -

٢ - موجود الحي موجود ماري موجود مندا اد هيي

٣ - بشهادة الحي وبشهادة ملك عالم الأنوار

٤ - الإله الذي انبعث من ذاته، لا باطل اسمك ولا مبطل

٥ - يا حي، يا ماري، يا مندا اد هيي

- ٢ -

٦ - سبحانك ربي، عهداً احفظه باسماء الحي الرب

٧ - قوموا قوموا بخيري متصدقين، قوموا اتقياء ومؤمنين، قوموا

٨ - اسجدوا وسبحوا للحيي العظيم، وسبحوا للملك شيشلام

٩ - العظيم، وسبحوا لذي الأسرار الخفية الربانية، وسبحوا لياور

١٠ - العظيم ولازلات الكبير، وسبحوا لسيمات هيي الأم التي منها

١١ - كل العوالم، وسبحوا للعين والنخلة ولأبي الملائكة

١٢ - الذي منه نشأوا، أنا نسجد ونسبح لملك عالم

١٣ - الأنوار الرؤوف الرحيم

قائمة بالأسماء التي تعتبر ميمونة للمواليد في ظروف معينة مع قيمتها العددية

[انظر الملاحظة ص ١٤١]

القيمة العددية	(١) الاسماء (للرجال)
١ -	رام، يُهانه، زيهان وماهان (چيهان) زيوا دَيمور
٢ -	زاكي، زهرون، بهيرا، بهداد، بايني، زازاي، هرمزدكت
٣ -	يهياميمون، سِيوِي، قيَّم، سك ليڤي (سكويي)
٤ -	بابيان، بلبل، سكوة - ياور (سُك - ياور) بوالفرج
٥ -	سام پاييش: راموي، شاپور، شاد - مندا
٦ -	بهرام، شيتل، سَرْوان، قيَّم، تِيبَتْ، زندانا. بريخ ياور، زاكى - ياور
٧ -	مهتم، بهرام، سندان، مالي، (ميلي)
٨ -	شايار، زيوا، شادان (شادن). نَطَر
٩ -	أُنش، هيبل، رزبي، ساموي، نَطَر
١٠ -	ادم، بختيار، بَطْيه زكرى
١١ -	بر - هيي، شِتلَن (هيي شتلن) نصاب، زنگي
١٢ -	گدانا شِيلوى.

القيمة العددية	(٢) الأسماء (للنساء)
١ -	هَوَّه، دهگان، شكِنْته، هيّونه، مدينات، ماموي
٢ -	شارت، سمره، پشنَه
٣ -	شادِي، ياسمَن، رهُميته، هَيَّه، دايه، دخته، هندان
٤ -	مُدلِّل، رهيمه، مهريزاد
٥ -	انهر، گيزارييل (گزريل)
٦ -	مهنوش، بنانا، دينارثي، قَمريته
٧ -	سيمث، مرواري، بوران، دموثا هيي
٨ -	سيمث - هيي، سنديته، شَهمْي
٩ -	قُنبه انات - هيي، كِسنَه، رهمات - هيي
١٠ -	ماني، مرگنِيتَه، قَيمَت، زادي، سوته
١١ -	موروارد، مانو، قنته، فيوى، (پيوى)
١٢ -	بيبي، مَليحه، نرگس، بيصام.

من الأدب الصابئي

الشعـــر:

عاش الصابئون حول الأنهار لضرورة دينية، فكانت حياتهم هادئة بسيطة، كبساطة لباسهم، وطعامهم، وأعمالهم، لكنها حياة متقوقعة منزوية عن المجاورين؛ لاختلاف عقيدتهم وسرّيتها، ولاختلاف لغة الدين، الذي يعتلقون عن لغة المعاش، فعبَّروا عن سعادتهم وكآبتهم بلغة شعرية عذبة، مشحونة بعواطفهم الفطرية الصادقة، فاتسعت لجميع الأغراض التي يرغبون في التعبير عنها، فكانت الأبوذية طريقهم للتعبير، وهي (من الفن الشعري العالي، وفيها طور خاص غناه الصابئة بلحن حزين جداً، يستدر الدموع، أطلق عليه (الصبية) نسبة إليهم، وأغلب شعرائهم نظموا فيها، ويندر من لم يفعل ذلك، وصفة الغزل تطغى على غيرها)[1]، ولا يستطيع الشخص العادي فهم الغرض

(١) مجلة التراث: العدد الثامن، السنة الرابعة، ١٩٧٣ ص ٣٦.

الحقيقي للشاعر، إلا بعد أن يحلّ رمز اللفظة، فاللغة العامية هي المستعملة في هذا الفن، فهي عاطفية صادقة التعبير، مختصرة الكلمات، مثال ذلك ما أنشده الشاعر عزير كاري:

١ ـ نـظرت الزمن مني العقـل شتيت
ابجله وبـلبـاس الـطيف شـتيت[٢]
٢ ـ كـوم اللي تفـرق عـدو اشتيت
نفـع مـاكـو الحكتهم كـل اذيـة[٣]

(نـظرت إلى أمـور حيـاتي وزمـاني، وفكـري شـارد مشتت، وكيف لا، وقد أمضيت الشتاء البارد بلباس الصيف الحار، أما قومي الصابئة الذين تفرقوا فأصبحوا مشتتين في كـل مكان، فلم تقتصـر نكبتهم وكآبتهم على الابتعـاد عن الأحباب والأصحاب، بل كانت المصائب والأضرار والأذى تلاحقهم إلى كل مكان). ونلاحظ أن الشاعر يعبر عن مصير الصابئة، وما يتعرضون له من الطبيعة ومن المحيط.

عـليـك الله يـحـلو الـطول دن دن
يمشي والحجـل بـالسـاك دن دن[٤]
من أمـوت تخسـر لـلأهـل دن دن
كـل هـذا وتلحكـك هم خـطيـة[٥]

(٢) شتيت الأولى (متفرق)، شتيت الثانية، أمضيت الشتاء.
(٣) ماكو: لا يوجد، الحكتهم: لحقت بهم.
(٤) الحجل: نوع من الطير، بالساك: بالساق.
(٥) تلحكك: تلحق بك، خطية: اللوم بسبب الأذى.

(بالله عليك يا حلو القوام، حينما يمشي الحجل يدندن ساقه، لو مت حسرة عليك سيخسر أهلي ماديا ومعنويا، ومع هذا فإنك سوف تلام).

عـذول اللي سعى بصـدك وحـالـك
ابليـل أظلم سهـرت أنـا وحـالـك
يهـل تنشـد على حـالي وحـالـك
هم عنـدك مثـل مـا صـار بيـه؟

(العاذل الذي سعى لكي يبعدك عني، سهرت بالليل حالك الظلمة، فهل تسأل عن حالي وحالك كما أسأل، وهل أصابك ما أصابني).

وينشد الشاعر سوادي واجد (عم عزيز كاري) متغزلا فيقول:

قـريـنـا طلسـم صـدرك بهـنـداس
يشـع بليـلة الـظلمـة بهـنـداس[٦]
يتخـطه وجتن جعـوده بهـنـداس
تحفظ لا يـصـيـر نـلك منـيـة

(قرأنا رموز صدرك بآلة هندسية، ونوره كان يشع بليلة مظلمة بإشعاعات منتظمة المسار، وكان يتمايس في مشيته وضفائره مجدولة بطريقة منتظمة، كأنها من صنع مهندس،

(٦) قرينا: قرأنا، طلسم: رمز، بهنداس: آلة هندسيه.

فاحذر أن تكون منيتك بسببها).

ويقول الشاعر درباش غافل:

شلت همي وهمك وليحادي
أشجاب الون لكلبي ولحادي[٧]
دشيت يخطيتي وليحادي
طريت الشناك وخنت بيه

(وحملت همي وهمك لوحدي، فمن جلب الحزن والأسى لقلبي، وأنا وحيد، ظلمتني أيها المحبوب، صنعت كل شيء من أجلك، ومع هذا خنتني، ولم تتذكري عذابي من أجلك).

(وعرف الشاعر رابع زغير - ١٩٤١ - بلطفه وارتجاله الشعر الماجن الجريء فقال)[٨]:

ما يحوج غسل وجهك ولا ماص
العسجد لا مثل خدك ولا ماص
لا شم الشفة كلبي ولا ماص
الشفة من يلجن انهودك عليه

(لا داعي لغسل وجهك جيداً ولا حتى غسله بمسحه،

(٧) شلت: حملت، وليحادي: وحدي، أشجاب، من جلب، الون: الحزن لكلبي: لقلبي.

(٨) مجلة التراث الشعبي: العدد الثامن، السنة الرابعة، ص ٤٠.

لأنه لا الذهب ولا الألماس يماثلان خدك، الشم لم يشفِ قلبي ولا المص، ولا يتم شفائي إلا حينما يلتصق نهداك بجسمي).

أما الشاعرة لميعة عباس عمارة، فقبل أن تقرض الشعر الموزون، كانت تنشد الشعر الشعبي، ومنه قولها:

حبيبي من ورا الطوفة وابص له
وأريده لو على خبزة وبصله
نعنة الله علبو 'لواشي وابو اصله
الفرك ر عينا الجانن سوية[٩]

هذه بعض الأمثلة عن أدب الأبوذية، وهم لم يتوقفوا عنده، بل تناولوا الوطنيات، والحكمة، والفخر، والصياغة، والغزل، وهذه أمثلة منها:

١ - الوطنيات:

ينشد الشاعر عزيز كاري حبه للوطن فيقول:

على العدوان نفزع يوم نأخذ حيف
لا نخشى البرودة ولا أبحر الصيف
إحنا البحرب عدنا سوية الكيف
اجلاجه بالبحر للوطن سودننه
اجلاجه بالبحر نفزع ونمحي العار

(٩) الطوفة: الحائط أو الجدار، وابص له: أنظر له، نعنه: لعنة الفرك: الذي كان سبب الفراق، الجانن. سوية: خلقنا معاً.

تتلازم الأيدي بقوة الجبار
ابتكاتفنا وتآزرنا العدو ينهار
بسلاح وذخيرة فقط مدونه
مغوار وفدائي أنا وصرت قناص
وسرائيل دوم الدوم ملعونة
ملعونة اتحدا الناطقين الضاد
لا بد يوم نتواعد فرد ميعاد[١٠]
مو منها الشجاعة من وراها اسياد
امريكا وحكام الذي جانوا يحكمونه

٢ ـ الحكمة:

يقول منصور خيطان:

يا صاحب أوصيك أبكل مكارم جلب (تمسك)
صدك لها وشوف بوجوه المعالم جلب (أشباه)
الناس ما هي سوية بيهم جريم وجلب (كلب)
وبيهم من تحسبه وللنسب ينسب (يصل إلى نسب شريف)
وبيهم شبه اللاسعة ينسب (ينساب كالأفعى)
يسبك نذل ماله عرض ينسب (ليس له شرف)

(١٠) اجلاجه: مركب نهري، البحرب: الحرب، سوية الكيف: تساوي الراحة والمتعة، فرد ميعاد: ميعاد واحد.

وللي يعضه جلب قابل يعض الجلب (لا حد يعض الكلب)

٣ ـ الصياغة:

أتى شعراء الصابئة على ذكر صناعاتهم، كصناعة القوارب، والصياغة، والنسيج. من ذلك المحادثة بين الصائغ والعدة التي صنع بها مجوهراته، وقام بأداء الدورين الشاعران عبد النبي رابع (العدة) ومنصور درباش (الصائغ)، وكان ذلك بمناسبة الكساد الاقتصادي عام ١٩٣٦، فتوقفت الأعمال:

الصائغ:
يا صياغ الطموا ماتت العدة
وأخبرنكم رزقها ماي وتبده

العدة:
أنا موش ميته أريد بس أستاذ
أسوي عيشته حلوة وعلى المعتاد
جنوني الكمتريه وخلفه الحداد
والصياغة لا لبوه ولاهيه لجده[١١]

(١١) الكمتريه: الذين يتسلقون على هذه الصناعة، وهم من الحدادين لا الصاغة.

الصائـــغ (يسخر):

بينـا بـالصيـاغـة حيـل معتـوبـه
اسباع الشغل ليش اليـوم مطلوبـه[١٢]

العـــدة:

انـا بحاصلي يشهـد اليّ السندان
بـتـرجـيـه وحـجـل ومـخـشـخش
وخلخال[١٣]
بكـلامك يـا منصور بـأن خبـال
رزقـك من يكـصـدك محـد يـرده

الصائـــغ:

كلبي يـا جمـاعـة كـام حيـل يفـور
وانـا مـن الـصـيـاغـة اصـبـحـت مـقـهـور
على ساعة واطك المطركة على الكور
والفنـج واحـطج بـالنهـر سـده[١٤]

ب ـ الحكمة:

من خلال قراءة التراث المندائي نجده يحتوي على كم

(١١) لا لبوه: ليست له مصلحة.
(١٢) مطلوبه: مديونة.
(١٣) السندان: من أدوات الصياغة، الحجل ومخشخش وخلخال: من حلي النساء.
(١٤) المطركة: (المطرقة)، والكور: من أدوات الصياغة.

هائل من الحكم الهادفة، التي تدعو الإنسان إلى المثالية الواقعية، فنرى ذلك في الأشعار والأمثال والكتب الدينية، وأكثر ما يتجلى في كتاب (كنزه فره)، فهناك فصل خاص دونت فيه حكم النبي يحيى (ع) وأمثاله)[١٥] وقد قام بترجمتها الأستاذ غضبان الرومي من اللغة الآرامية المندائية إلى اللغة العربية، فأضافا بذلك إلى التراث العربي مادة أدبية وفكرية وعقيدية تعبر عن تجارب إنسانية هادفة، وعن فكر هادف ورائع ومبدع، وهاكم ترجمتها: بأسماء الحي العظيم ننير عقولكم وذكاءكم (خبرتكم) وعلمكم أن هذه الحكمة والوصايا هي ما أوصى به، وما قاله، وأمر به يحيى بن زكريا للمتعبدين، وأصحاب العهد المتعمدين، والمتزهدين، وللأمة المجتمعة حوله، وهم الذين يبتغون التقى والصلاح للاستنارة بكل الشعائر، وهم كأخوة ملك تاجه مستقر على رأسه معلنا الحرب على دنيا الشر والكذب، معتمداً على المحيطين به، الأخوة البررة وهؤلاء (الناصورائيين) أصحاب العهد والحق، وهم كالفلاحين الذين يشتركون معاً بآلام فلاحة الأرض، ومن الصالحين بأعمالهم، ويهمهم القوة والصبر والجلد، وهذه الحكم مستندة من سلاح أهل الصلاح البررة والمتصفين بصفات ذوي العهد، والإيمان، والعدل، والمعرفة، والبصيرة، والحكمة،

(١٥) مجلة التراث الشعبي: العددان ٦ ـ ٧ السنة الخامسة ص ٦٦.

والتعلم، العقيدة، والحق، والصلاة، والتسبيح، والكرم، والصدقات، والطيبة، والتواضع والمساواة، والإنصاف، وحسن التصرف، والطهارة، والزكاة، والسلام، والمغفرة، والتوبة، ومحاسبة النفس، والتفكير بالحي، والتماس الرحمة للمعاهدين.

- رأس العهد هو أن لا تفسد عهدك، ولا تعتاد على الكذب والفتن.

- رأس إيمانك هو الإيمان بالله، ملك عالم الأنوار القيوم الدائم، الذي يثيب الذين يزكون ويطهرون.

- رأس عدلك هو أن تحاسب نفسك.

- رأس معرفتك أن لا تشرك بالله.

- رأس بصيرتك هو أن لا تلقي بنفسك بالتهلكة.

- رأس حكمتك هو أن لا تفتن ولا تستهزىء بالذين سلموا أمرهم لله.

- إن سر ثقافتك هو أن تعلم وتشرح ما يأمر به إلهك.

- إن رأس عقيدتك فروض من الفضائل من مدبر بصير، فلا تكفر به.

- إن سر صدقك هو أن لا تحلف على ما ليس لك.

- إن سر صلاتك وتسبيحك هو أن لا تعتاد على التفرقة.

- إن سر صدقاتك وإنعامك هو في إطعام الجائع وسقي العطشان.

- إن سر شفقتك ومساواتك هو أن لا تشتم ولا تغضب ولا تميل للشرك.

- إن سر عبادتك هو أن لا يزول ذكر ربك من فمك.

- إن سر مساواتك هو أن تعدل وأن تتقبل الحكمة.

- إن سر استقامتك هو أن لا تقول ما لا تعرفه.

- إن سر نجاحك هو أن توقر الإنسان.

- إن سر أمانتك هو أن تحاسب نفسك على ما تقوله.

- إن سر غناك هو أن لا تطمع أو تشتهي ما ليس لك.

- إن سر طهارتك هو أن تتجنب النجاسة.

- إن سر سلامتك هو أن لا تتكبر على من هو أكبر منك.

- إن سر تعبدك هو أن توقف النفس من الحسد وما يتصل به.

- رأس تسبيحك هو أن تستغفر لمن أتيت منه (أنجبك).

- إن سر بصيرتك هو إيمانك بالموت.

- إن سر رحمتك هو أن تتمسك برحمة العهد الذي أعطاه ربك إلى الذين يطلبون رحمته من أتباعنا.

- كن كالميزان المتقن المملوء، الذي لا نقص في حركته.

- تمثل بديانة العهد التي لا كذب بأقوال علمائها.
- كن كالفلاح الذي يزرع وينبت الأشجار التي تحمل المعرفة والطيبة.
- تصور البناية المنسقة البنيان بكل عناية وبصيرة.
- تصور الذي صور الأجسام بكل حكمة وجمال.
- كن كالماهر المنظم لكل رغبة بالمعرفة والشرح والترتيب المنظم.
- كن كالسراج المنير الذي ينير اليسار إلى اليمين بالحق والإيمان.
- كن كالجبل الشامخ الذي لا تزحزحه الرياح، إنه يشع عبادة وتسبيحاً.
- تمثل بالتاجر الذي خسر الألوف، لكنه لا يزال يتصدق بلياقة ووسامة.
- كن كالمائدة المملوءة، التي تقدّم للجياع، وهي مبتهجة.
- كن كالشجرة الحلوة العطرة الخاضعة.
- كن كالماء الذي ينساب وينتشر في كل مكان بإرادة الله، دون أن يتورط في ترتيب.
- تصور هذا التشبيه البادي المكلل المرتب المزدهر.
- كن كجبل الورد والبراعم والريحان الطيب الأزدهار.
- تصور دنيا العهد التي لا باطل فيها، إنها متقنة الكمال.

- تصور الطعام الجيد اللذيذ الطعم من كل شجرة طاهرة.
- كن كالعين الطاهرة، التي لم يدخلها الباطل، إنها طاهرة.
- كن كالمرآة الصقيلة، التي تميز كل وجه متفرس فيها طلبا للرحمة والغفران.
- تصور النسيم الزاكي العطر، الذي يهب في كل باب وكوة محتسبة أنها دائمة، وهي لا تدوم.
- كن مثل الفراشة التي تؤسر في بيت محكم، وهي تظن أن وقت خلاصها من الأسر قريب، ثم أطلقت، إنها كمثل من يطلب رحمة مليئة بالإيمان.
- لتكن كالأب الطيب الذي يربي أبناءه وأولاده تربية صالحة بالعبادة والإيمان، احترسوا وأبعدوا نفوسكم عن الخداع، والشر، والكذب، والضلال والغش، والخزي، والمسكنة، والكفر، والقسوة، والحماقة، والطرب، وتصغير النفس، والزنا، والفجور، والعصبية، وغواية الشيطان، وغمز العيون، والسكر، والرقص، والسبي، والاشتهاء، والتعلق ببنات الهوى.
- أيها الناس إن الحسد، والغيرة، والهم، والكره، والغضب، والفخر، واللمز، والمضايقة، والعصيان، والزنا، والخطف، والاستحواذ بالظلم، والقوة، والنهب، وغزل

الشر، والنجاسة، وقذارة الجسم، والاحتقار، والازدراء، الخبيث، وإضمار الشر، لعباد الله المسالمين، كل هذه الصفات لا تدل على الإيمان بالله العظيم، وشتان ما بين رمانة ممتلئة بالصدق (فعلا) وأخرى ممتلئة زيفا.

- تصور المبكر من الفجر يعمل للحياة، لكنه متمرد ويرمي بشباكه ضد طالبي الرحمة، وهو كاذب.
- تصور لساناً يسبح بلباقة بكل الأديان لكنه دجال
- تصور البحر الهائج الذي يجر سفينتك إلى الشر.
- تصور الشجرة المرة التي تثمر فاكهة سامة، على هيئة فاكهة طيبة ليس فيها نقص.
- تصور البئر ذا الماء الحي الساري، مبتغياً الازدهار، ولم يدر بالخلل.
- تصور لبنة من بعر البعير، رميت بالماء الأسود، مفتكرة أنها كقسوة الحصاة.
- تصور البيت الذي لا يترطب بكل رطوبة إنه كالخطيئة.
- تصور شجرة الدردار التي تدّعي بأن ثمرها أحسن الأثمار وهي بلا ثمر.
- كن كالدهن الذائب الذي يجري في حوض، ويروي بلا مرارة.

- تصور حالك بعد زوال نعمتك وقد كنت لاهياً فاسداً مؤذياً.
- تصور حال النار المستعرة بالنفيخ.
- الحكيم من لا يترك بيته بلا سقف.
- الحكيم من لا يسلك طريقاً لا يلابسه (يناسبه).
- الحكيم لا يصطحب مرآة غير صقيلة.
- الحكيم لا يمتطي جواداً بلا سرج.
- الحكيم من لا يقدم طعاماً بلا طعم (فائدة).
- الحكيم من لا يصدق أن جيشاً بلا قائد.
- الحكيم من لا يقدم لك الطعام مع الإغلال.
- الحكيم من لا يلقى القول جزافاً كمن يبني بيتاً بلا مدخل.
- الحكيم من لا يثور في الأرض السالمة.
- الحكيم من لا يطلق سفينة بدون ملاحين.
- الحكيم من يوقف كلامه الوديع في نداء، ويصغي، ثم يقدم السلام.
- الجاهل من يوقف كلام الكبير، ويظهر الرعب، ويتمسك به، ويسلم بأطراف أصابعه.
- العاقل من يوقف كلامه الطيب، ويتجه إلى كل أعمال الخير.

- الجاهل من يوقف كلامه الكاذب، ويتجه إلى أعمال الشر.

- الحكيم من يعطي رأيه بالموافقة التامة، وحاضر للتوقيع عليه.

- الحكيم من يقدم الطعام للذين في داره ولكل مسالم يتعبد.

- الجاهل من أغلق فمه، وحاسب غيره حساب الشيطان، ومدّ يديه إلى الدانق والدرهم.

- الحكيم من ملأ قلبه إيماناً من إيماننا، وابتعد عما يتناهى، وتمسك بالسلام.

- الجاهل قد يأتيك بدين مدغوش، وقول قاس، كصورة السيف المسلول.

- أمن الحكمة أن لا يتحرر المرء، ويكتم قوله ويسكت، والقول كثير. (ليس من الحكمة أن تسكت وفي القول متسع).

- أمن الحكمة أن يكون المرء مشعاً بالخير كالضوء، ويحسب أن الخطيئة أقسى من الحجر.

- أمن الحكمة أن تفكر بأن الحجر لا يترطب بالدهن.

- ليس من الحكمة أن تكون عصبياً هائجاً.

- أمن الحكمة أن تكون كالمطر بأرض خراب.

- ليس من الحكمة أن تظن أن كل بياض زجاج (ما كل ما يلمع ذهباً).

- ليس من الحكمة أن تكره المريض.

- أوليس من الجهل أن تفكر باتخاذ دهن البلسم لتكون صياداً.

- أوليس من الحمق أن تزوج البتول للخصي.

- أوليس من الحمق أن تزيد من أسعار النار بقوة الماء.

- أوليس من الحمق أن تكون دلالا للطرش والخرس.

- من الحمق وزنك لكل أعمال وصبوات الجهلاء المخجلة، وتقييمها وقبولها.

- زن وتقبل ما يقوله الحكماء، إذ لا حكيم أحمق فتصدق حكمته. تصور أعمال من لا رحمة في قلبه؛ إذ لا حكيم جاهل يصدق.

- لا تعمل أعمالك التي لا تنبض من القلب.

- لا تحاسب الشرفاء.

- على الإنسان أن لا يظلم أهل الأديان المنزلة، فإن خالفت فأنت أحمق.

- تصور الزنديق إنه كالدلو الممتلىء الذي لا يروي حتى أصدقاءه، إنه أحمق.

- تصور الإنسان الذي يكره حتى نفسه، إنه كالصنم

المنتفخ، إنه المعصية بذاتها، إنه أحمق.

- تصور لقاصر بياض ملابس الملوك، ويشتري منه الأحمق.

- تصور الأصم في كل تزمير إنه كالنائم الذي لا يسمع، إنه الجاهل.

- تصور من لا يبني بناء لنفسه إنه أحمق.

- تصور المستهزىء الذي لم يجدل قتل من الدببة، وحينما استيقظ وجد إنه لم يحدث شيء.

- تصور المستهزىء الذي لم يجد إكليلا لنفسه (يتعمد)، إنه أحمق.

- تصور من لا يتعبد ويدّعي بأن زوجه متدينة.

- الويل لهؤلاء الحمقى المخادعين الذين يغيرون أوامرنا ويغيرون ما أوضحنا لهم، إن الإنسان الذي يظهر إيمانه ثم يراوغ، ثم يعلن رغبته في التعبد قرب موته، ويبدأ يسمع ويتفهم كلام الرب، ولا يبدي صبواته إن الله لن ينسى، وقد يرحمه الله، أما أولئك الذين قرأوا وسمعوا وأطاعوا وملأوا أفواههم بدون كذب ما أملاه عليهم الحكماء وشرحه، وقاله لهم يحيى بن زكريا بمدينة القدس، والله المزكي لكل عباده الصالحين، وهو المزكي.

جـ - القصة والأسطورة:

يحتوي التراث الصابئي المندائي على حكايات

شعبية، نسجتها تصورات وخيالات القصاصين الشعبيين والأدباء المحليين، يتسم هذا الأدب (بطابع صابئي خاص يميزه عن شبيهه من سائر القصص الشعبي العراقي)[١٦]، والإيراني، كما يحتوي على أساطير دينية ذكرتها الكتب الدينية المندائية المقدسة، وقد قامت الليدي دراور) بجمع هذه الحكايات والأساطير في كتاب (المندائيون في العراق وإيران) وقد قام الأستاذان نعيم بدوي، وغضبان رومي، بترجمتة إلى اللغة العربية، ونشر عام ١٩٧٣، وعددها ثمان وعشرون حكاية وأسطورة هي:

١ - أساطير الخليقة والطوفان.
٢ - إبراهيم ويوربا.
٣ - كيف جلب هيبل زيوا الروهة من عالم الظلام.
٤ - قصة قيفل ووفاة يحيى.
٥ - كيف صبأت ابنة نبو ختنصر.
٦ - قصص الشمس.
٧ - الجسر في شيشتر.
٨ - عابد النار وآدم بو الفرج.
٩ - كيف زار دنانوخ السماء السابعة.
١٠ - العصر الألفي.
١١ - جبل مداي وكيف جاء الأتراك لاحتلاله.

---

(١٦) أساطير وحكايات شعبية صابئية: ٥.

١٢ ـ كيف ترك المندائيون والكنز فره جبل مداي إلى إقليم أحسن في الشمال.

١٣ ـ الطفل الذي حملت به أمه في التاسع والعشرين من الشهر القمري.

١٤ ـ كنش وزهلي (الكنس والنظيف).

١٥ ـ الأشباح.

١٦ ـ الطاعون في شيشتر.

١٧ ـ رمي الحجر.

١٨ ـ الغول (الشيبة).

١٩ ـ أولاد بيبي ومغامراتهم الغريبة.

٢٠ ـ شيخ زبد.

٢١ ـ إدراك الحوادث أثناء الغيبوبة.

٢٢ ـ إساءة الجن إلى الموتى.

٢٣ ـ الموتى يعودون إلى الحياة.

٢٤ ـ قوة مشاهدة الأرواح.

٢٥ ـ حقيقة قصة رستم وابنه.

٢٦ ـ هرمز شاه.

٢٧ ـ الرجل الذي حاول أن يرى «سين» «القمر».

٢٨ ـ العنقاء «السيمورغ» وهرمز شاه.

وسأثبت «أسطورة» كيف صبأت ابنه نبو ختنصر، وهي بحق تعبر عن أدب رائع معبر ومشوق.

كيف صبأت ابنة نبو ختنصر

في يوم من الأيام كان المندائيون[١] والناصورائيون[٢] والترميذي[٣] يسكنون في القدس، وكان للناصورائيين مكانهم الخاص بهم، وهو بناء كانوا فيه يتعبدون ويمارسون طقوسهم، وكان بناءً منعزلاً، بحيث لا يستطيع أحد أن يطّلع عليهم، ولا أن يدخل إليهم. وفي أحد الأيام ذهبت ابنة نبو ختنصر ملك بابل (وكانت يهودية) إلى القدس، واستأجرت لها داراً يجاور البناء العائد للناصورائيين، وفتحت الفتاة فتحة في جدار دارها، وغطتها بشيء شفاف، بحيث تستطيع أن ترى وتسمع من خلالها ما كان يقال، وما كان يقرأ، وهكذا تعلمت الفتاة العقيدة السرية، لقد كانت مثقفة غاية الثقافة، سريعة الفهم والإدراك، وقد لازمت الفتحة صباحاً وظهراً ومساءً، مصغية ودارسة، حتى بلغت درجة

(١) المندائيون: عامة الصابئين في اللغة الآرامية.

(٢) الناصورائيون: المتفقهون في أسرار الدين الصابئي من الصابئة.

(٣) الترميذي: مفردها ترميذه، وهو أول درجات الكهانة.

فهم ما كانوا يقرأون، وعرفت علومهم السرية، وحفظت كتبهم عن ظهر قلب، وحين كانوا يقرأون في كتاب «الكنزه ربه» كانت تسجل وتدون ما كانوا يقرأون، إلى أن تعلمت وفهمت كل شيء، وقد بقيت الفتاة في القدس تتابع الدرس، ولم ترجع إلى أهلها.

وكان للناصورائيين علم سري يتلونه بتؤدة، وبهمس، وتصادف هذا النوع من العلم اليومين الأول والخامس من أيام الأسبوع (الأحد والخميس)، وقد خيل لها أنها رأت حين كانوا ينشغلون في هذه التلاوة السرية، أن ضياء قد هبط فغشيهم، وهو يغدو ويروح، معطياً وآخذاً، بينهم وبين السماء.

وفي أحد الأيام تخلف أحد الناصورائيين، في حين قد خرج الآخرون بعد صلواتهم؛ ليمتعوا أنفسهم في الحديقة. أخذ الرجل ذلك الكتاب السري المحتوي على الطقوس التي كانوا يهمسون بها همساً، وشرع يقرأها بصوت عالٍ، وكانت الفتاة قريبة منه، تصغي إليه، فدونت ما سمعت من هذه الطقوس السرية، كانوا يتخاطبون مع عالم الأنوار: مع آدم كسيه (آدم الخفي) في مشوني كشطه، ومع الأرواح النورانية، فنحن نقول إن هنالك آدمين، آدم بقرا أي آدم الطبيعي، وآدم الخفي (آدم كسيه)، الذي هو في مشوني كشطه[٤]، وسكان مشوني كشطه أنقياء كاملون، لا يراهم إلا التقي الكامل، إنهم يتحادثون بحرية مع الأثرى والملكي.

(٤) عالم وسطي بين الأرض وعالم الأنوار، حسب معتقدات الصابئين.

وحين تعلمت الأميرة هذا العلم كانت سعيدة جداً، ومبتهجة غاية الابتهاج، وبدأت تراقبهم في اليوم الأول، وتفعل ما كانوا يفعلونه، إلا أنهم كانوا يجهلون ما كانت تصنع؛ لأنها كانت في مخبئها، وفي اليوم الخامس كذلك قامت بفعل ما كانوا يفعلون، وتابعت تلاوتهم بدقة تامة.

وكان لها معبد في دارها، يشبه مكانهم بكل تفاصيله، وقد أبقته مغلقاً وخفياً، وهكذا لم يعلم أحد من قومها ما كان يجري هناك، وحين كان هذا العمل يحدث، رأت في يوم أحد، نوراً يهبط من علٍ ويسقط على وجهها، فسُرّت وابتهجت، وتحدثت إلى النور، لا بالألفاظ، فالنور قد تغلغل في تفكيرها، صاحت الفتاة «سأذهب إليهم في مكانهم! سأرى العالم الآخر! أريد أن أرى بعيني» قال لها النور «اذهبي إلى الناصورائيين! وسيدلونك على الطريق».

وفي أول يوم من أيام العيد ذي الأيام الخمسة «بارونايا» نهضت من مكانها، وذهبت إلى الناصورائيين، تناولت الكنز ربه، وبدأت تقرأ، فأخذتهم الدهشة، وقالوا: «أتكون هذه الفتاة ناصورائية»، وأخذوا يتحدثون فيما بينهم قائلين: «لا بد أن يكون الله هو الذي منحها هذا العلم، فمن غيره كان معلمها؟».

قالت لهم الأميرة «عمدوني، واجعلوني مندائية!» وحين علم اليهود بتحولها، هجموا على المندائيين، وأحدثوا فتنة

وشغبا، وذهب كهان اليهود وشيوخهم وعلماؤهم إليها، وتناقشوا معها قائلين: «سيحدث من جراء عملك هذا قتل وقتال، فيجب أن تعودي إلى مكانك الخاص، وأن تتزوجي هناك!».

قالت لهم الفتاة: «لست مضطرة على فعل ذلك، ولا داعي للقتل والقتال بسببي، ولست أبغي زوجاً، ولا أريد مالاً، ولا نفوذاً ولا زواجاً، أرغب فقط أن اخدم الله كلية».

قالوا لها: «اتركي الناصورائيين!».

أجابت: «سوف لا أترك الناصورائيين! فليست لديكم المعرفة التي لديهم» (كانت هذه الفتاة ابنة نبوختنصر، وكان ملكاً على بابل، وكان يهودياً[٥]، وأخيراً ترك مملكته، وصار ناصورائيا، فاستولى الأشوريون على المملكة، وطردوا منها البابليين).

أجابها الكهان: «سنقتلهم جميعاً، أو نتعلم علمهم!».

قالت: «لا تكونوا حمقى، فأنتم لا تقدرون على قتلهم، وتعلم أسرارهم! فإذا فعلتم ذلك فسيعاقبكم الله!».

قال لهم الناصورائيون: «لقد جاءت فتاتكم إلينا بإرادتها، ولم نجبرها على ذلك، فخذوها واذهبوا!».

ولكن الأميرة لم توافق على الذهاب مع اليهود، وحين

٥ ـ لم تتحدث كتب التاريخ بأن نبوختنصر كان يهودياً.

حاولوا إجبارها بدأت تقرأ العقيدة السرية، فكانوا كلما اقتربوا منها تضيق أنفاسهم بوسائل مجهولة، فبدأوا يخافون، وحاول بعضهم الفتك بالمندائيين، نهض الناصورائيون، وبالقوة التي لهم، في يوم الأحد تحدثوا إلى الأرواح (الملكي) الذين قالوا لهم: «اذهبوا إلى جبل المندائي».

استعد كثير من الناصورائيين والمندائيين، بعد أن كانوا قد هيأوا أنفسهم للرحيل بقيادة الناصورائيين، وقد منحوا من القوة، بحيث كانت مسيرتهم في يوم تعادل مسيرة أربعين يوماً، وكانوا كل يوم يبذرون البذرة التي كانت تنمو وتحصد بقوة الله، ولهذا لم يعرفوا الجوع، وسافروا أربعين يوماً، وكل يوم بأربعين يوماً، إلى أن وصلوا بسرعة وبسهولة، إلى جبل المندائيين حين كانوا سعداء آمنين ومستمتعين بذلك الجو اللطيف. لقد كانوا قادرين على أداء صلواتهم، وعلى العيش بلا قلق، وكانوا يقولون: «لقد أنقذنا الله من أولئك القوم».

وتبعهم بعض اليهود، وحين قطعوا في رحلتهم أربعين يوماً، رأوا الذرة الخضراء، وعلامات مخيم النار، فقالوا: «سنقبض عليهم، وسنلحق بهم، لا بد أن يكونوا قريبين من هنا». إلا أنهم لم يلحقوا بهم، وأخيراً، وبعد أيام كثيرة، اقترب اليهود من جبل المندائي حيث كان المندائيون يعيشون ومعهم ابنة ملك بابل، التي صنعت لنفسها مكاناً تقدر أن تتعبد به كالناصورائيين».

وحين كان اليهود على مقربة من الجبل نزل ضوء كالسيف من العلا، واعترض سبيلهم، فكان كلما تقدم واحد منهم قضى نحبه.

تشاور الكهان فيما بينهم وقالوا: «لا مفر لنا، يجب أن نعود» وهكذا عادوا إلى بلادهم حزينين مكسوفين.

وقد بقي بعض الناصورائيين في القدس لم يسافروا مع الآخرين، فجاء اليهود وألقوا القبض عليهم، قال لهم الناصورائيون: «ماذا تريدون» أجاب اليهود: «نريد معرفة علمكم السري، علمونا، وسوف لا نقتلكم».

أجاب الناصورائيون: «ليس لدينا علم سري».

قال اليهود: «علمونا، أليس ذلك خيراً من الموت؟».

أجاب الناصورائيون: «لا يوجد لدينا علم سري، فكيف نعلمكم، وليس لنا أي علم سري».

قتل اليهود واحداً من الناصورائيين، ثم ثانياً، وكانوا يرددون دائماً: «علمونا معنى عقيدتكم أو ستموتون جميعاً كهؤلاء».

إلا أن الناصورائيين استمروا على الرفض قائلين: «اقتلونا إن شئتم، فليس لدينا أي علم سري».

قتل اليهود الناصورائيين جميعاً، ولم يتعلموا شيئاً من علمهم.

بعد ذلك ذهب اليهود إلى هيكلهم في القدس، واجتمعوا هناك، كانت قلوبهم وجلة، وهم يعلمون بأنهم قد قتلوا أولئك خطأ، وفي الصباح رأوا طائراً أبيض يحوم فوق الهيكل، نظر الجميع إلى الطائر، وحين كانوا ينظرون، نزلت نار من السماء، فأحرقت جميع أولئك الذين أوقعوا بالناصورائيين وقتلوهم، وفرَّ الباقون من اليهود إلى الصحراء، وهم في هلع عظيم، وكانت النار شديدة، بحيث نفذت إلى عمق اثني عشر فرسخاً في الأرض.

هرب اليهود إلى أن وصلوا إلى بابل، قال الملك نبوختنصر للربيين والكوهينين: «لماذا فعلتم ذلك؟ لماذا قتلتم أولئك الناس بلا حق؟». أجابوا: «لقد كانت الفتاة ابنتك، وما كان غضبنا إلا من أجلك، قال لهم: هل ذهبت ابنتي؛ لأنها قد أحبت رجلاً منهم، فأجابوا بالنفي، فسألهم: «ماذا كانت غايتها إذن، ولماذا ذهبت معهم؟» قالوا: «لدى الناصورائيين عقيدة سرية، وهذا كان السبب. أجاب الملك: «أنا نفسي وأتباعي سنلحق بهم أيضاً».

غادر الملك وحكماء مملكته المملكة، وذهبوا إلى جبل المندائيين، بعد ذلك التحق هو وحكماء قومه بالصابئين، وأصبحوا مندائيين، وتعلم الملك العقيدة السرية من ابنته.

ومن ذلك الوقت ولسلوكهم الشرير لم يملّك أي ملك يهودي (كلداني) في بابل.

إن من يريد الله أن يعلمه يمكنه من تعلم عقيدته، مهما كانت سرية.

الكلمات والمصطلحات المندائية التي وردت في الكتاب

- آ -

اثرا (ج اثري): ملاك، روح نورانية.
آره تيبل: الأرض، العالم السفلي (البالي).
آكله هيي ـ آكه ماري: يوجد حي ـ يوجد إله.
آلمه، عالم: دنيا.
أنبه: عنب.
أنديرونا: كوخ من أعواد القصب، يقام في عقد المهر، وتكريس الكهان.
انسي اثرا: روح من أرواح الحياة وانش يعني رجل، واثرا كائنا روحيا.
انكرتا (انكرثا): رساله.
انهورا (نهورا): نور، جيد.
اهاڤاداماني (هافادامان): منح كساء، نوع من الصدقات على روح المتوفين بدون ملابس دينية، نوع من الصدقة.
اهشوخة (هشوخة): ظلام.
ايار زيوه: الاشعاع الأثيري، أو الأثير المتسع.

- ب -

بر: ابن.

براخة : صلاة، دعاء بتبرك .
برز له : حديد .
برزنكه : عمامة .
بريهي : وعاء النار (من الطين) .
پرونايا : اسم آخر للبنجة (البنجة) .
بنجه : عيد من أعياد الصابئين وهو خمسة أيام كبيسة .
بڤره : جسم، جسد .
بندامه : لثام .
بوثه : دعاء، سورة .
بهثه : الخبز المقدس .
بيل وينرغ : حراس بعض الكواكب .

- ت -

ترميذه (ترميده - ترميدي) : أولى درجات الكهانة .

- ح -

حران كويثا : من كتب الصابئة .
حلالي : فرد صابئي طاهر طقسيا .

- د -

دخرانا : (ذخرانا) : تذكر، ذكرى، قربان .
دارشه : دراسة، تعاليم .
دارشه أديهيا : تعاليم يحيى .
درفثه : علم، شعاع ضياء .
دهفه أديمانه : من أقدس الأيام لدى الصابئين .
ديوى (ديڤي) : روح شيطانية .

- ر -

ربي : كبير، عظيم، أستاذ .
رسته : الملابس الدينية .
رشامه : الطهارة الصغرى، الوضوء .
رطنه : اللغة العامية الصابئية، وهي خليط من المندائية، والعربية، والفارسية .
روهه : روح شريرة تجسد المادة والحياة الطبيعية .
رهمي : دعاء تمهيدي لطلب الرحمة .
ريش : رئيس .
ريش أمه : رئيس الأمة .

- ز -

زدقة بريخا : صدقة مباركه .
زرسته : نوع من التعاويذ .

- س -

سدرة : قميص، صُداري .
سكين دولا : سكين من الحديد، تصلها سلسلة حديدية، بختم عليه نقوش حيوانات وزواحف وحشرات .
سندركه : نخلة .
سين (سره) : القمر .

- ش -

شامس : الشمس (الملاك الموكل بالشمس) .
شخنته : مسكن، موطن، بيت العبادة .

شرواله : سراويل .
الشفياهي : الجن .
شكنده : مساعد، مراقب، شاهد .
شمبلته : القمح .
شوليه : مرشح لدرجة ترميذه .

- ص -

صا : رقاقة من الخبز أسطوانية الشكل .
صابي : مغتسل، متعمد .
صبي : اسم تطلقه العامة على المنادائي (الصابيء) .

- ط -

طابثه : الأطعمة المقدسة (جميع الأطعمة المحللة) .
طبوثه : نعمه، طعام .
طريانه : خوان من الطين، توضع فوقه الشعائر الطقسية، و(الطبوثة) .
طور : جبل .
طور أدماداي : جبل المندائيين .

- ف -

فطيرة : الخبز المستعمل في الطقوس .

- ق -

قابين : عرس، زواج .
قمامير زيوا : روح نورانية .
قاوقه : وعاء للنجور .

قلسته : أناشيد وتراتيل للزواج .
قينه : قصب .

- ك -

كبثه : إناء معدني صغير، لشرب الماء المقدس .
كداده : قطعة من الخام الأبيض، تستعمل لأغراض عدة .
كسويه (سدرة) : قميص .
كشطه : ميثاق، عهد .
كنثه (كمثة) : صندوق من الطين، يحل محل الطريانة أحياناً .
كنز فره (كنز وره) : درجة كهنونية أعلى من درجة (ترميذه) .
كليله : إكليل (من الآس) .
كنشي وزهلي : آخر يوم في السنة المندائية .
كيدان : حارس أحد الكواكب .

- ل -

لوفاني : وجبة طعام على روح الميت .
ليلث : جنيه .
لبوث : فينوس أو الزهرة .

- م -

مبطل : يوم نحس لا يحل فيه الذبح، ولا أي طقس من الطقوس الدينية .
مركنه : صولجان، عصا (من خشب الزيتون في الأغلب) .
مشخنه : غفران، قداس على روح الميت، أو من هو بحكم الميت .
مشخثه : مسكن، موطن .
مشيهه : المسيح .

مشوني كشطه : عالم وسط بين عالم الأنوار والعالم الدنيوي ، وهـو العالم المثالي للصابئين ، ويقطنه أحفاد آدم كسيه .

مصبته (مصفته) : تعميد ، معمودية .

مطرتا : (جمع مطرائي) مطهر للعقاب في الآخرة .

ملاكيا : روح ضارة .

ملكا : ملك ، ملك نوراني ، ملكا زيوا : مصدر الحياة كلها .

ملكة : روح خيرة .

ملواشه : الاسم الديني ، الذي يحمله المندائي منذ ولادته ، وهو غير الاسم الدنيوي الذي يعرفه به الناس .

ممبوهة (ممبوغه) : الماء المقدس .

مندائي : كلمة مشتقة من لفظة (مدعا أو مندا) الآرامية ، وتعني (العارف) .

مندا دهيى : بيت الحياة .

مندلته (مندلثة) : نصب ثلاثي من القصب ، يقام للمتوفى ، ويمر من أمامه حملة الجنازة .

ميسره (ج ميسري) : حد فاصل .

- ن -

ناصيروثا : علم الكهانة والتبحر بها .

ناصورائي : كاهن أتقن (الناصيروثا) .

ناطري : مفردها (ناطره) ؛ أي حارس ، أو ناطور .

نشمثه : نسمه .

نصيفه : (طبرشيل) : وشاح من الخام الأبيض .

نيارا : كاسة معدنية .

- هـ -

هبشبه : تجسيد يوم الأحد .

همره : خمر (عصير من العنب والتمر) .

هميانه : زنار .

هيي : الحي ، الحياة ، من أسماء الله جلّ شأنه .

هيى ربي قدمايي : الحي الرب القيوم .

- ي -

يردنا : الماء النقي .

يلوفا : فرد صابئي مثقف دينيا ، بدون درجة كهنوتية .

يوربا : قوة من قوى عالم الظلام ، وهو الذي منح اليهود قـوتهم في اعتقاد المندائيين .

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) انجيل لوقا.

٣ ـ الكنز ربا.

٤ ـ الابانة عن اصول الديانة: علي بن اسماعيل الاشعري، بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٩٠.

٥ ـ أبو الأنبياء ابراهيم: محمود عباس العقاد، القاهرة، دار الأخبار ١٩٥٦.

٦ ـ أساطير وحكايات صابئية: الليدي دراور، ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي، بغداد، مطبعة الأديب البغدادية ١٩٧٣.

٧ ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٨٦.

٨ ـ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: عبد الرحمن السماوي، دمشق ١٣٤٩.

٩ ـ أقوام تجولت بينها فعرفتها: محمد الفرماني، دمشق ١٩٥٨.

١٠ ـ تاريخ بغداد: لأبي بكر الخطيب البغدادي، بغداد، دار المثنى ١٩٦٥

١١ ـ تفسير ابن كثير: اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، القاهرة، عيسى البابي الحلبي.

١٢ ـ **تفسير القرطبي**: محمد أحمد بن أبي بكر القرطبي، القاهرة، دار الشعب.
١٣ ـ **دليل الجمهورية**: بغداد ١٩٦٥.
١٤ ـ **رسوم دار الخلافة**: هلال بن المحسن الصابىء، تحقيق ميخائيل عواد، بيروت، دار الرائد العربي ١٩٨٦.
١٥ ـ **الصابئة المندائيون**: الليدي دراور، ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي، بغداد، مطبعة الإرشاد ١٩٦٩.
١٦ ـ **الصابئون في حاضرهم وماضيهم**: عبد الرزاق الحسني، بغداد، المكتب العربي لتوزيع المطبوعات ١٩٨٤.
١٧ ـ **عيسى يبشر بالإسلام**: م عطاء الرحيم، ترجمة فهمي شما، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية ١٩٨٦.
١٨ ـ **الفرق بين الفِرق**: عبد القاهر البغدادي، بيروت، دار الآفاق الجديدة ١٩٧٧.
١٩ ـ **الفصل في الملك والاهواء والنحل**: علي بن أحمد المعروف بابن حزم، الرياض، عكاظ للنشر ١٩٨٢.
٢٠ ـ **الفهرست**: ابن النديم، بيروت، مكتبة خياط ١٩٦٤.
٢١ ـ **في ظلال القرآن**: سيد قطب، بيروت، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٢ ـ **قصة في مهب الريح**: كافن ماكسويل، ترجمة صادق عبد الصاحب التميمي، دار الحياة.
٢٣ ـ **لسان العرب**: ابن منظور، بيروت، دار صادر.
٢٤ ـ **محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان**: عبد العزيز الثعالبي، بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٩٨٥.
٢٥ ـ **المختصر في أخبار البشر**: عماد الدين اسماعيل أبي الفداء، بيروت، دار المعرفة.
٢٦ ـ **مخطوطات البحر الميت**: محمود العابدي، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية ١٩٦٨.
٢٧ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والعقائد**: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض ١٩٨٩.
٢٨ ـ **موسوعة الملك والنحل**: لأبي الفتح الشهرستاني، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة ١٩٨١.
٢٩ ـ **مندائي أو الصابئة الأقدمون**: عبد الحميد عبادة، بغداد، مطبعة الفرات ١٩٢٧.
٣٠ ـ **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**: شيخ الربوة، بطرسبرغ ١٩٦٦.

المجلات

١ ـ **التراث الشعبي**: بغداد، وزارة الثقافة. الأعداد ٣/ ١٩٧١، ٥ ـ ٦/ ١٩٧٢، ٤/ ١٩٧٣، ٨/ ١٩٧٣، ٥/ ١٩٧٤، ٦ ـ ٧/ ١٩٧٤. ٩/ ١٩٧٤، ١٢/ ١٩٧٤.
٢ ـ **العربي**: ١١٢ ـ ١١٦، الكويت.
٣ ـ **المشرق**: ٥ ـ ١٩٠٢ بيروت.
٤ ـ **المقتطف**: الجزء الأول، المجلد ١٥ القاهرة.
٥ ـ **المورد**: المجلد ٥ العدد ٢ بغداد، وزارة الإعلام.